جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية



رؤية علاجية لظاهرة التكفير في ضوء الوسائل والأساليب النظرية والتطبيقية

إعداد الدكتور

محمد عبد الدايم علي سليمان محمد الجندي

أستاذ الأديان والمذاهب المعاصرة والأديان ـ المساعد ـ في كلية الدعوة الإسلامية ، جامعة الأزهر بالقاهرة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الواحد الأحد، الفرد الصمد، المتنزه عن الصاحبة والشريك والولد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، شهادة تقطع بها الظنون والأوهام، صلاة وسلاماً عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،،،،،

فإن الفكر التكفيري يعد من جملة الأخطار التي هزت أرض المسلمين هزة عنيفة أطاحت برواسخ الثبات في كل ضروب الحياة، وأحدثت صدعا قويا في صرح الأمة ساق الأعداء إلى مهاوي التشويه والطعن في مقدساتنا وأئمتنا وعقيدتنا بكل توجهاتها على حد سواء، وإن ما يعكسه المشهد الفكري الآن في هذا الميدان، ليأخذ بالألباب إلى منعطف من الذعر والفزع، برق منه البصر، وتهدج منه أصوات أهل العلم الأكفاء، وآثارهما استطارت الأفئدة شعاعا ورهباً، وهي كثيرة لا تحصى فأحصيها، لذا آثرت اختيار بعض من نواحيها، وقد بانت أناملها تلو غرق أهلها في ظلمات بحر لجي تتابعت ظلماته، فغشيتهم أمواجه المتطابقة.

وبعد أن نشر هذا الفكر الغالي رداءه الأسود؛ صدحت ألسنة أصحابه تضج الفضاء عجيجا وتكفيرا، فحلك الكون، وغابت نجوم الأمن من الحياة، وأخذت الأصابع الخفية الخبيثة تلقي بوابل من الدسائس المشينة على كاهل الإسلام المظلوم، واختلط الأمر على المفاهيم وأشكل، وتحمل الإسلام مسئولية تلك الأفكار المعقدة المركبة التي تنقبض عند ذكرها الخواطر، وشاع الترنم بها في الشبكة العنكبوتية وغيرها من وسائل الدعاية الترويجية المقروءة والمرئية والمسموعة، وامتلأ الميدان تكفيرا، وعلت فيه الأصوات تناحرا وضجيجا،

وزهقت نفوس في لظاها، وضاعت ثمرات تحت رحاها.

ويالها من عقول مظلمة خابية الشعاع، وقفت أمتنا بسببها اليوم على حافة الهاوية، فكم من تهديد بالتكفير علقوه على رؤوس أفرادها؟! وكم من روح سمحة طمسوها بعد أن طفقوا يخصفون عليها بوابل من الحماقة والغلظة؟! ولم يعد لديهم ما يُقنعون به ضمير ديننا الرحب السمح باستحقاقهم للوجود بعدما انتهت إليه أفكارهم الضامرة.

ونظريات التكفير اجتذبت في أول عهدها عددًا كبيرا، باعتبارها مذهبًا يحمل طابع العقيدة، ولكن تراجع رواجها تراجعًا واضحًا بعد أن أدركت المجتمعات أن فكرة التكفير تناهض طبيعة الفطرة البشرية ومقتضياتها، ولا تنمو إلا في بيئة محطمة! أو بيئة قد ألفت غياب العاطفة الإيمانية والحنو الوجداني، وحتى في مثل هذه البيئات بدأ يظهر فشلها، ما أثر سلبا على اتساع دائرة الدعوة إلى الله تعالى.

وبدا حصاد مر في نظرة الغرب إلى الإسلام من خلال هؤلاء، وانفجر بركان ثائر ضد ديننا وعقيدتنا فقذف دعوتنا بحممه، ونهدت زبانية الجحيم من كل حدب وصوب يتخذون من ذلك مغنما مشاعا تروج فيه لحربها على الإسلام، وطفقوا يلقوننا من بيوتاتهم المظلمة في الغرب ما يريح هويتهم المفقودة، وطالبوا بنزع فتيل الحرب من نصوص القرآن بعد أن اتهموه بالتشدد والإرهاب، وراحت خطى تسرق بالليل إلى تعاليم الإسلام السمحة الرحيمة بعد أن كانت صحيحة فشوهوها، وحقائق تدعو الناس إلى الإسلام بلا جهد وتنير حنادس[١]. الأجواء المظلمة فطمسوها.

---

(١) جمع حندس، و(الحندس): الظلمة والليل الشديد الظلمة، انظر: المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية (ط. دار الدعوة، د.ت) جـ ١، صـ ٢٠٢.

وتلك فتنة سعرتها أفئدة الغلاة، وأوقدتها ألسنتهم المتسلطة، فانقضاضهم على عقيدة المسلمين انقضاض البزاة على طرائدها، وإسراعهم إلى التكفير إسراع العطاش إلى مواردها، حتى امتدت أيديهم إلى وحدتنا فمزقتها، وإلى صفاء عقيدتنا فعكرتها،إنهم زعموا أن أي مذنب كافر مخلد في النار ولو قال الشهادتين وأدى كل فرائض الإسلام من صلاة وزكاة وحج وصيام، ولو ابتعد عن الكبائر والفواحش، وأتى بالقربات والطاعات المرضية للرحمن، وقد قامت آراؤهم على مرتكزات خاطئة، منها على سبيل المثال:

١- مرتكز يقوم على فهم خاطئ للعقيدة، فأصول العقيدة الإسلامية لم يقع عليها خلاف وهي تقوم أساساً على الإيمان بالله تعالى وعلى تنزيهه وعلى وجوب طاعته، وعلى الإيمان برسول الله (ﷺ) ووجوب طاعته والالتزام بسنّته، فالإسراع إلى التكفير بناءا على الاختلاف في فروع العقيدة خطأ عظيم وقع فيه المكفرون، وهو منهج يخالف نهج السلف الصالح، ويخالف نهج العلماء المحققين.

٢- مرتكز آخر وهو اعتبار المبادئ الإسلامية مجموعة نظريات تقف عند ظواهر النصوص ولا تتعامل مع العمق الذي تحرّكت من خلاله روح هذه النصوص.

وقد دفعني هذا المسير الحالك الذي تخطو فيه طائفة مارقة عن ركب الأمة، من خلال نظرتها التكفيرية التي أقاموها على شفا جرف هار لا يمكث إلا قليلا ثم ينهار في نار جهنم، إلى تسطير هذا البحث تحت عنوان:

(رؤية علاجية لظاهرة التكفير في ضوء الوسائل والأساليب النظرية والتطبيقية)

وقد اخترت هذا المحور لما فيه من تفعيل للعلاج الناجع، وتلبية الضرورة الملحة لتكوين آلية مثمرة عبر الأنساق المجتمعية المتمثلة في الحزمة الممثلة للمجتمع، وعبر القنوات الشرعية المتناغمة مع جوهر الإسلام وروح العقيدة، وقد تكون هذا البحث في الحلقات التالية وعلى الله قصد السبيل:

مقدمة وتمهيد وستة مباحث وخاتمة:

التمهيد: حول مفهوم التكفير.

المبحث الأول: البداية من فقه الوصفة العلاجية القرآنية والنبوية لداء التكفير.

المبحث الثاني: تفعيل دور المؤسسات الدعوية في بيان خطورة التكفير.

المبحث الثالث: التحذير من خطورة التكفير في الوسائل التعليمية وعلاجه بأساليب منهجية.

المبحث الرابع: توجيه الوسائل الإعلامية لبث الفكر المعتدل بأساليب ترغيبية.

المبحث الخامس: صياغة حلول للمشكلات النفسية والاجتماعية التي ينعكس عنها التفكير

المبحث السادس: التصدي المجتمعي لملاحم التكفير وحظر ثقافته.

وهذا غيض من فيض لبعض الوسائل والأساليب العلاجية لظاهرة التكفير، وهي محاولة ليعود للإسلام دوره فيتمثل المجتمع المسلم في حكمته وسماحته، فالأمة المسلمة بروح عقيدتها السمحة ليست "أرضًا" كان يعيش فيها الإسلام. وليست "قومًا" كان أجدادهم في عصر من عصور التاريخ يعيشون بهذه الروح

التي تدعو إلى هذا الدين بشكل تلقائي، إنما "الأمة المسلمة" جماعة من البشر تنبثق حياتهم وتصوراتهم وأوضاعهم وأنظمتهم وقيمهم وموازينهم كلها من تسامح المنهج الإسلامي الحكيم الوزين(١) تحت ظلال روحه واحتواء رحمته.

ولابد من الوقوف بالدواء على علل وأسقام المكفرين، وإن لم يجد الدواء فالبتر أولى لعضو مصاب بداء خبيث، لكي لا ينتشر خبثه في جسد المجتمع كله فيفسده وحينها لا يصلح الدواء ولا البتر.

وحتى يؤدي الإسلام دوره المرتقب في قيادة البشرية مرة أخرى، ولا يكون مطمعا ولا مطعنا بسبب غلو بعض المنتسبين إليه والمتحدثين باسمه، حتى نسب إليه مقالهم، ولفق إليه إجرامهم.

ولابد من "بعث" لتلك الأمة التي واراها ركام المذهبية والتكفير والغلو والدماء وركام التصورات المفرقة التي تجعل الجميع يرى نفسه في موقع الصواب وغيره في محل الخطأ.

وفي نهاية هذا الموجز لا يدعي الباحث جامعية بحثه لكل أطراف الوسائل العلاجية وأساليب التقويمية، ولكنها محاولة وجهد مقل، وفي المنتهى أردد قول

---

(١) الوزين: الرزين، يقال: فلان وَزِيْنُ الرأيِ: أي رَزِيْنُه، انظر: المحيط في اللغة، لأبي القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين (ط. عالم الكتب – بيروت / لبنان – ١٤١٤هـ -١٩٩٤ م) جـ ٩، صـ ٩٣.

الله لرسوله في تبصير عباده حين قال: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً﴾[1].

وجزاكم الله خيرا وسدد خطاكم في إثراء ثقافة الأمة والاهتمام بقضاياها الفكرية

وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

دكتور

محمد عبد الدايم علي سليمان محمد الجندي

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة والأديان المشارك بجامعتي الأزهر بالقاهرة وجامعة الملك فيصل

كلية الآداب بالأحساء ـ قسم الدراسات الإسلامية

Mail: elgendy١١٧٥@yahoo.com

جوال: ٠٥٠٢٦٣٢٧١١



(١) سورة الإسراء: آية ٥٣.

التمهيد

حول مفهوم التكفير

التكفير: مصطلح مشتق من الكفر، والكفر في اللغة يقوم على معنى "الجُحود والإِنكار والمعاندة والبراءة والنفاق"، وقد جمع ابن منظور هذه المفاهيم اللغوية في لسان العرب، وفي ذلك يقول:

(الكُفْرُ جُحود النعمة وكَفَر بها جَحَدَها وسَتَرها وكافَرَه حَقَّه جَحَدَه، ورجل كافر: جاحد لأَنْعُمِ الله، وقيل لأَنه مُغَطًّى على قلبه، وكفر الإِنكار هو أَن يكفر بقلبه ولسانه ولا يعرف ما يذكر له من التوحيد، وكفر معاندة وهو أَن يعرف الله بقلبه ويقرّ بلسانه ولا يَدِينَ به حسداً وبغياً، وكفر نفاق بأَن يقرّ (أي المرء) بلسانه ولا يعتقد بقلبه)(١) والكفر أيضا يعني (البراءة، كما تفعل الخوارجُ(٢) إِذا

---

(١) محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، (الناشر: دار صادر – بيروت، ط. أولى) جـ٥، صـ ١٤٤، ١٤٥ باختصار.

(٢) الخوارج هم الذين خرجوا على "علي" واجمعوا على كفره وابنيه رضوان الله عليهم، وهم مختلفون هل كفره شرك أم لا؟ واجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلا النجدات فإنها لا تقول ذلك واجمعوا على أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر. كما كفروا ابن عباس وأبا أيوب الأنصاري وكفروا أيضا عثمان وعائشة وطلحة والزبير وكفروا كل من لم يفارق عليا ومعاوية بعد التحكيم وكفروا كل ذي ذنب من الأمة وقد ورد حديث سُوَيْدُ بْنُ غَفَلَةَ قال: قَالَ عَلِيٌّ (رضي الله عنه)، إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) حَدِيثًا، فَوَاللَّهِ لَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، فَإِنَّ الحَرْبَ خِدْعَةٌ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ: «سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ=

استعرضوا الناسَ فيُكَفِّرونهم، وهو كقوله (ﷺ): "أيما امرئ قال لأَخيه يا كافر فقد باء به أَحدهما لأَنه إِما أَن يَصْدُقَ عليه أَو يَكْذِبَ فإِن صدق فهو كافر وإِن كذب عاد الكفر إِليه بتكفيره أَخاه المسلم"[(1)][(2)].

=قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ" وهو صحيح (أخرجه البخاري ومسلم، أنظر: صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، بتحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، كِتَابُ اسْتِتَابَةِ المُرْتَدِّينَ وَالمُعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ، بَابُ قَتْلِ الخَوَارِجِ وَالمُلْحِدِينَ بَعْدَ إِقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ (ط. دار طوق النجاة، ط. أولى، سنة١٤٢٢هـ) جـ ٩، صـ ١٦، وانظر صحيح مسلم، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج (ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت) جـ ٢، صـ ٧٤٦)، راجع كشف الأوهام والالتباس عن تشبه بعض الأغبياء من الناس، لسليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مسفر الفزعي الخثعمي، (ط.دار العاصمة – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥) جـ ١، صـ ١١٩، وانظر مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للإمام علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، تحقيق: هلموت ريتر (الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثالثة) ج ١ ص ٨٦ ، وانظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية للشيخ عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، (دار الآفاق الجديدة – بيروت – ط. ثانية، ١٩٧٧) جـ ١، صـ ٣٠٧، وانظر (علي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبو الحسن الدارقطني البغدادي، العلل الواردة في الأحاديث النبوية، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله السلفي (لناشر: دار طيبة – الرياض، لطبعة الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٥) جـ ٣، صـ ٢٢٨.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر، (ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت)، جـ ١، صـ٧٩.

(٢) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، جـ ٥، صـ١٤٦ بتصرف.

وأما مفهوم التكفير اصطلاحا: فإنه حكم على من فعل فعلا أو اعتقد اعتقادا أو قال قولا مما حكم عليه الشرع بأنه كفر، لذلك فهناك تلازم بين مفهوم الكفر ومعنى التكفير لأن التكفير حكم على من اعتنق الكفر، ومفهوم الكفر عند الشيخ ابن تيمية (تكذيب الرسول (ﷺ) فيما أخبر به، أو الامتناع عن متابعته مع العلم بصدقه، مثل كفر فرعون واليهود ونحوهم)(١).

وقيل: (الكفر إنما يكون بإنكار ما علم من الدين ضرورة، أو بإنكار الأحكام المتواترة والمجمع عليها)(٢).

وعليه فـ (التكفير حكم شرعي، سببه جحد الربوبية والرسالة، أو قول أو فعل حكم الشارع بأنه كفر، وإن لم يكن جحداً)(٣).

مما سبق نعلم أن التكفر الحكم بالكفر يقوم على جحود وإنكار لما علم من الدين بالضرورة، وتكذيب للأحكام ولأصول الدين.



---

(١) ابن تيمية أحمد عبد السلام (الشيخ) درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، درء تعارض العقل والنقل، (ط. أولى، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض) جـ١، صـ٢٤٢.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، سنة ١٤١٦هـ) جـ١، صـ ١٠٦.

(٣) السبكي، أبو الحسن علي السبكي، فتاوى السبكي، (دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت). جـ ٢، صـ ٥٨٦.

المبحث الأول

البداية من فقه الوصفة العلاجية القرآنية والنبوية لداء التكفير

إن مجال المعركة بين عناصر المنظومة البشرية بتعدد موضوعاته (فكريا أو عقيديا أو مذهبيا)، بات يتسنم ذروة الفزع الأرضي، ومنحدر التكفير أصبح المنحدر البشع الذي انتكست فيه شرذمة من هؤلاء الذين فقدوا لوازم الإدراك، وارتكست أقدامهم في حمأته بعقول خابية الظلام، وأطلقوا عنان غلوهم في كل اتجاه، فراحوا يلتذون مشاهد التكفير، بل وأقاموا حدوده على الناس، تلك الحدود المروعة العنيفة التي تنتهي بهتك قمص الأمان وتستبيح الدماء، وبهذا الارتكاس تجاوزوا صفات السباع والوحوش، فالوحوش تفترس لتقتات، لا لتلتذ بآلام الفريسة في شراهة وفجيعة.

إن هؤلاء الذين يظنون في رأيهم تعويلا على تصرفات الناس فكفروا من كفروا، وأسلموا من أسلموا، لم تسقهم إلى هذه المهاوي إلا نعرات فكرية متعصبة، فاتخذوا مسألة التكفير ألعوبة يصرفونها حسب أهوائهم، فباءوا بالشر، وانفجر بركان الفتنة المدمر، فقذف الأمة بل والإسلام بحممه.

وقد تعامل القرآن والسنة مع مثل هذه العلل بالحكمة والهوينى، فكان أنجع علاج في بيان منهج الله وغض الطرف عما خرج عن سبيل الله وتبعثر وتناثر عن حيده، قال تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾(١).

(١) سورة الأنعام آية: ١٥٣.

هذا الصراط بفقه معانيه، وإدراك مضامينه بآلية إدراك يشرف عليها وعي ممزوج بالفهم والدراية والاستنباط، هو أنجع وصفة طبية لعلاج علة التكفير، وفيما يلي نسوق بعض النماذج القرآنية والنبوية المبينة لهذه الاستقامة الفكرية:

أولا: النهي عن التصدير بالحكم على بواطن الناس (علاج لعلة المزاجية والعشوائية):

إن من حكمة الله تعالى أن تكون العقيدة مجردة من الزينة والطلاء، واضحة في أحكامها، لا تجامل أحدا على حساب أحد، ولا تظلم عاصيا لحساب مطيع، ولا كافرا لحساب مؤمن، ليقبل عليها من يقبل وهو على يقين من نفسه أنه يريدها لذاتها خالصة لله من دون الناس، ومن دون ما تواضعوا عليه من قيم ومغريات، ولينصرف عنها من يبتغي المطامع والمنافع، ومن يشتهي الزينة والأبهة، ومن يطلب المال والمتاع، ومن يقيم لاعتبارات النفس وزنا حين تخف في ميزان الله.

يقول الشيخ محمد عبده (ليس لمسلم مهما علا كعبه في الإسلام على آخر مهما انحطت منزلته فيه إلا حق النصيحة والرشاد، ولقد اشتهر بين المسلمين وعرف من قواعد أحكام دينهم أنه إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه، ويحتمل الإيمان من وجه واحد، حمل على الإيمان، ولا يجوز حمله على الكفر)[١]، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ**

---

(١) محمد عبده (الشيخ) الأعمال الكاملة، بدراسة وتحقيق د: محمد عمارة (ط. بيروت، سنة ١٩٧٢ م) صـــ ٢٨٩.

خَبِيرًا﴾[1]، (قال ابن عباس كان رجل في غنيمة له، فلحقه المسلمون، فقال السلام عليكم فقتلوه، وأخذوا غنيمته، فأنزل الله في ذلك إلى قوله: **﴿تبتغون عرض الحياة الدنيا﴾** تلك الغنيمة، و**﴿ألقى إليكم السلام﴾** نطق بالشهادتين أو حياكم بتحية الإسلام، **﴿لست مؤمنا﴾** أي تقولون لم يؤمن حقيقة إنما نطق بالإسلام تقية)[2]، وقد نبههم القرآن ونهىاهم عن التصدير على ما في القلوب، وأنه من ضروب ركوب الأخطار، وخوض الغمار، ومد إليهم حبلا فاصلا ليعتصموا به عند ورود ما يثير سخائم القلوب ويؤلب المنابذات، وهذا توجيه يسبق الدواء، محمول على القول: (الوقاية خير من العلاج) وذلك لئلا يسقط المؤمن في هاوية التكفير، ولا تراوده نفسه أن يخلع رداءه النظيف الطاهر، وينغمس في الحمأة المبهمة.

يقول الشيخ الألباني (إن تكفير المسلم يجب أن يكون بضوابط شرعية وفقه وتثبت، ولا يكون ذلك إلا للعلماء الراسخين فهم الذين يحكمون على فلان بأنه كافر لمعرفتهم بالأدلة والشروط والموانع لهذه المسألة فلا يجوز تكفير المسلم بمجرد وقوعه في خطأ أو معصية)[3] ويقول الإمام القرطبي في تفسير الآية السابقة (إن في هذا التوجيه الإلهي من الفقه باب عظيم، وهو أن الأحكام

---

(١) سورة النساء: آية ٩٤.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي (الإمام)، صحيح البخاري، تحقيـق: د. مصطفى ديب البغا، باب ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا (ط.دار ابن كثير، اليمامة – بيروت ــ الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧) جـ ٤، صـ١٦٧٦.

(٣) محمد ناصر الدين الألباني (الشيخ)، فتنة التكفير، تقريظ الشيخان: عبد العزيز بن بـاز، ومحمد بن صالح العثيمين، إعداد: علي بن حسين أبو النور (ط. دار ابن خزيمة، طبعة ثانية، سنة ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧م) صـ ٧ بتصرف يسير.

تناط بالمظان والظواهر، لا على القطع واطلاع السرائر، فالله "تعالى" لم يجعل لعباده غير الحكم بالظاهر)[١]. وتتناغم السنة مع القرآن في نفس القضية – كغيرها – فقد ساق النبي (ﷺ) أفئدة أصحابه على أنساق تتسق مع نظم وتوجيه القرآن، فهذا أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) فيما ورد عنه أنه قتل رجلا شهر عليه السيف فقال: ﴿لا إله إلا الله﴾ فأنكر عليه النبي (ﷺ) أشد الإنكار، وقال: أقتلته بعدما قال: ﴿لا إله إلا الله؟﴾ فقال: إنما قالها تعوذا من السيف؟ فقال: هلا شققت عن قلبه؟! وفي بعض الروايات: كيف لك بـ ﴿لا إله إلا الله﴾ يوم القيامة؟)[٢]، وفي هذا التوجيه سبق من رسول الله لقلب أسامة وغيره من الأصحاب لاجتثاث الظن في التكفير، فالوقاية أنجع من العلاج، ومنه أيضا ﴿أن رسول الله (ﷺ) بعث خيلا إلى فدك فأغاروا عليهم، وكان مرداس الفدكي قد خرج من الليل وقال لأصحابه: إني لاحق بمحمد وأصحابه فبصر به رجل فحمل عليه فقال: إني مؤمن فقتله فقال النبي (ﷺ): هلا شققت عن قلبه﴾[٣]، وعليه فمجرد الجزم بالحكم على بواطن الناس زلل في المخاطر، يقول الشيخ صالح الفوزان في هذه المسألة:

---

(١) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله (الإمام)، الجامع لأحكام القرآن، (ط. دار الكتب المصرية، د.ت) جـ ٥، صـ ٣٣٩، ٣٤٠.

(٢) أخرجه البخاري، راجع فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (الإمام)، كتاب الديات باب ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا، جـ ١٢، صـ ١٩٥، (الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩).

(٣) أخرجه البخاري، راجع فتح الباري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب حكم المرتد والمرتدة، جـ ١٢، صـ ٢٧٣.

(ليس لنا إلا الحكم بالظاهر، أما أمور القلوب فإنه لا يعلمها إلا الله (ﷻ)، فمن نطق بالكفر أو فعل الكفر، حكمنا عليه بموجب قوله أو فعله)[1] وفي ذلك توجيه صريح لخطأ أصحاب الهوى في تكفير الناس بعشوائية وبغير ضوابط ولا مرجعية.

ثانيا: استخدام آلية "الجزاء من جنس العمل" (علاج تحذيري):

إن التخبط عند النظر إلى عقائد الناس والحكم عليها هملا، والأرجحة العنيفة بين الغلو والتكفير، يمثل سطوا في نظرة الإنسان للإنسان، وهجوما على فطرته واستعداداته الإيمانية، يترتب عليه تبادل القصف بين الطرفين بالتكفير، وذلك انزلاق في هاوية خطيرة تعود على أحد الطرفين بالوبال.

فعن أبي ذر (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) أنه قال: ﴿لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر، إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك﴾[2]، وذلك أول الوهن، تعود كلمة التكفير على قائلها إن لم يكن في صاحبه ما قال.

وتظل موجة التكفير المغرقة العاتية في صورتها جامحة مجنونة، تلهبها سياط الألسنة الطاغية الشاردة القاتلة المحمومة، يقول النبي (ﷺ): ﴿ومن رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله﴾[3]، وقد عنى الإسلام بضبط النظرة والحكم على الآخرين

---

(١) الشيخ صالح الفوزان، أسئلة وأجوبة في مسائل الإيمان والكفر، نقلا عن موقع الشيخ على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) صـ ٣.

(٢) رواه البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، صحيح البخاري، ، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن جـ، صـ ٢٢٤٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، من حديث ثابت بن الضحاك، كتاب الأدب، باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، جـ ٥، صـ ٢٢٦٤، ورواه أحمد (أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني) في مسنده، مسند المدنيين، من حديث ثابت بن الضحاك الأنصاري، (ط. مؤسسة قرطبة – القاهرة، د. ت) جـ ٤، صـ ٣٣، والبيهقي (أحمد بن الحسين=

من خلال الظواهر لصعوبة اختراق ما في القلوب والبصائر، بحيث لا تضطرب النظرات والقلوب ولا تتأرجح، ولا يكتنفها الشقاق فى زاوية من زواياها، يقول الإمام أبو حامد الغزالي: (إنه لا يسارع إلى التكفير إلا الجهلة، وينبغي الاحتراز من التكفير ما وجد الإنسان إلى ذلك سبيلا، فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة، المصرحين بقول ﴿لا إله إلا الله محمد رسول الله﴾ خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر أهون من الخطأ في سفك دم محجمة من دم مسلم)، وعن ابن عمر(رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) قال ﴿ أيَّما رجل قال لأخيه :يا كافر فقد باء بها أحدهما﴾[(١)].

ثالثا: صنيع النبي لسان حال يقصم التكفير والغطرسة (علاج تقويمي تطبيقي):

ضرب العلماء الأمثال بفقه النبي (ﷺ) وتقويمه لأمته، أمثالا حية تبقى ما بقيت في الأرض الحياة، ومنها صلاته الغائب على النجاشي (رحمه الله)، فقد كان

=بن علي بن موسى أبو بكر) في السنن الكبرى بتحقيق: محمد عبد القادر عطا، كتاب النفقات، باب التغليظ على من قتل نفسه، (مكتبة دار الباز – مكة المكرمة، ١٤١٤ – ١٩٩٤) جـ ٨، صـ ٢٣، و الطبراني (سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم) في المعجم الكبير، من حديث هشام بن عامر (رضي الله عنه)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ – ١٩٨٣) جـ ٢٣، صـ ١٧٧.

(١) متفق عليه، رواه البخاري في كتاب الأدب، باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، برقم ١٧٧٧، جـ ٥، صـ ٢٢٦٤، ورواه مسلم (مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري)، في صحيحة، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر، برقم ١١١(ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت) جـ ١، صـ ٧٩

ملكاً على قومه، فأسلم دونهم، وما قدر على تعلم الشريعة فضلاً عن تطبيقها، ومع ذلك فإن أحداً لا يشك في صحة إسلامه (رحمه الله).

والنجاشي وإن كان ملك النصارى، لم يطعه قومه في الدخول في الإسلام، بل إنما دخل معه نفر منهم، ولهذا لما مات لم يكن هناك من يصلي عليه، فصلى عليه النبي (ﷺ) بالمدينة، فـ﴿عن أبي هريرة (رضي الله عنه): أن رسول الله (ﷺ)، نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه خرج إلى المصلى، فصف بهم وكبر أربعا﴾[(١)].

وبتداوله (ﷺ) لهذه الحادثة نفهم ضرورة سير التاريخ في دورات على منواله الحكيم، ملتصقا به جنبا إلى جنب كتداول الليل والنهار والشمس والقمر.

---

(١) رواه البخاري في صحيح، كتاب الجنائز، باب الرجل ينعى إلى أهل الميت بنفسه، رقم ٥٣٢، جـ ١، ص ـ ٤٢٠، ومسلم في كتاب الجنائز، باب في التكبير على الجنازة، برقم ٩٥١، جـ ٢، صـ ٦٥٦.

المبحث الثاني

تفعيل دور المؤسسات الدعوية في بيان خطورة التكفير

إن العمدة في تصحيح المفاهيم على أهل العلم، يدعون مَنْ ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منه على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصِّرون بنور الله تعالى أهل العمى، فكم قتيلٍ لإبليس والهوى قد أحيوه؟!، وكم ضالٍّ تائهٍ قد هدوه!، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم.

ينفون عن كتاب الله تعالى غلو تأويل الغالين، وانتحال علم المتغطرسين، حباهم الله بمرونة الصياغة والفهم والأداء، والمؤسسات الدعوية جمعية لهؤلاء الأكفاء، لذا كان دورها مركوز في التنقل بين درجات الأفهام، والتجاوب مع تقلباتها ومستوياتها، وإنقاذها من الوساوس والهواجس، يقول الإمام "ابن قيم الجوزية" (رحمه الله):

(فما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له فالغالي فيه مضيع له؛ هذا بتقصيره عن الحد وهذا بتجاوزه الحد).[١]

نعم.. صدق الإمام، فقد بلغ الفهم المغلوط سنام الخطر، إذ من خلاله تتأسس تحزبات فكرية تكفيرية متشددة، لعدم النظر الدقيق، وضعف الفقه في

---

(١) ابن قيم الجوزية (الإمام) مدارج السالكين، (المطبعة السلفية بالقاهرة، الطبعة الثانية) جـ٢ صـ٥١٧.

مجال الأحكام والتحقيق، فاتسعت دائرة التكفير من الفرد إلى الجماعة، وتكاثرت الخلايا السرية التي تفرزها قراءات خاصة ومفاهيم خاطئة لا يعرفها أهل العلم، والمؤسسات الدعوية عليها أن تكون جوا من الهيمنة والضبطية الفكرية الثقافية، فكل مجتمع إنساني، لا بد وأن يتوفر فيه مؤسسات دعوية مؤهلة لبث الوعي الفكري المعتدل، تضبط النمو الثقافي الكامل لأفراده وتحول الفرد إلى نموذج مثالي، لذلك ينبغي أن تتولى تلك المؤسسات مهمة تقنين ما يكتسبه الإنسان من فهم للعقيدة والقيم والأفكار والأنماط السلوكية، حتى لا تدون خطأ، فهي لا تدون لجيل واحد، ولكنها تدون لأجيال متعددة، ولها أبعادها التاريخية والعقائدية، وهي وحدة متكاملة من المعلومات والأفكار والمعتقدات والمواصفات الاجتماعية، وطرق التفكير والتعبير والترويج، وطرق الفهم التوجيهي والتنفيذي، وصلاحيات الحكم والفتوى، وتنفيذ الأحكام وأهليتها وغيرها، ولا بد وأن تنتقل هذه الضوابط الثقافية عبر المؤسسات الدعوية من جيل إلى جيل، فيكتسبها الأفراد من خلال الاتصال والتفاعل الاجتماعي، لا عن طريق العشوائية والانفلات الفكري بلا رابط ولا ضابط.

وليست معاناة المجتمعات الغالية إلا نتاج ظاهرة التكفير التي انعكست عن محصلة أدمغة مفخخة بالشر والعدوان، (لذلك فإنه مهما اتسعت دائرة البحث عن عوامل وأسباب ودوافع العنف والإرهاب والعدوان، فإن العامل الحاسم والسبب المؤثر، والدافع المسيطر في هذا الأمر، هو الانحراف الفكري عن جادة الحق والصواب والأمر بالمعروف)[1].

---

(١) أبو سليمان، عبد المجيد أحمد، أزمة العقل المسلم. (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، سنة ١٩٨١ م) صـ ٥٧.

ويمكن تلخيص المهام المؤسسية للمنظمات الدعوية المشروعة، لوقف تمدد الفكر التكفيري فيما يلي:

١- إشاعة الوسطية وتقويض الثقافة المغالية:

يرجع مفهوم الوسطية إلى (الاستقامة على المنهج، والبعد عن الميل والانحراف، فالمنهج المستقيم، هو الطريق السوي الواقع وسط الطرق الجائرة عن القصد إلى الجوانب، فإذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين، فالخط المستقيم إنما هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية، ومن ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجائرة أن تكون الأمة المهتدية إليه وسطا بين الأمم السالكة إلى تلك الطرق الزائغة)[١].

وإن إبداع الدعاة والمربين في ضبط مدار العقول على الاتزان والوسطية والاعتدال ليـــس فلتة وقعت وانتهت، وأمست في ذمة التاريخ بحيث يستطيع أهل الأهواء أن يتلاعبوا بعقول الشباب وعقائدهم، وليس من الصواب أن ييأس المصلحون من معالجة ما راح من العقول وراء هرطقات التكفير والغلو والتشدد.. لا.. إن الإيجاد من الصفر يقع أمام أعيننا كل يوم في حركة الكائنات وبناء المجتمعات، فلا يفقد الأمل إلا قنوط.

فـــ(الفكرة الوسطى يمكن أن تلتقي بها الأفكار المتطرفة في نقطة ما، هي نقطة التوازن والاعتدال، كما أن التعدد والاختلاف الفكري يكون حتما كلما وجد التطرف، وتكون حدته وشدته بقدر حدة هذا التطرف، أما الوسط والاعتدال فهو طريق الوحدة الفكرية ومركزها ومنبعها، ولهذا تثير المذاهب والأفكار المتطرفة من الفرقة والخلاف بين أبناء الأمة الواحدة ما لا تثيره

---

(١) يوسف القرضاوي (الدكتور) الخصائص العامة للإسلام، (ط مؤسسة الرسالة، بيـــروت سنة ١٩٨٣م) صـــ ٤٥.

المذاهب المعتدلة في العادة)[١]، فأهل السنة والجماعة أوقدوا مجامر القلوب بحمية الاعتدال ودرء التكفير.

٢- تحديد مصادر الفكر التكفيري وتجفيف منابعه:

إذا كانت هذه الروافد التكفيرية التي تغذي عقول بعض التيارات والدوائر الفكرية قد باتت راسخة ومتكلسة[٢] فيها، فإن العلاج العملي الذي يمكن تصوره إزاء هذه العقول كما يلي:

أ- تحديد نطاق هذه الألغام الفكرية التكفيرية، وأغلبها لحسن الحظ تابع من نقل القضايا الخلافية من نطاق الفروع إلى نطاق الأصول، وتحويلها من ثم إلى عوامل نفي وتكفير للمخالفين أصول الاعتقاد.

ب- اعتماد منهاج وسنة التدرج في تطبيق خطة إزالة هذه الألغام التكفيرية من الكتب التراثية، وخاصة الذي يدرس منها في الحوزات العلمية.

وفي هذا التحديد لنطاق مصادر الفكر التكفيري، ومحاولة تجفيف منابعه أنجع السبل للقضاء على ظاهرة التكفير، لذلك يجب إدراك أهمية تقنين شبهات الغلاة والمتشددين فكريا، وتتبع مقالاتهم ومؤلفاتهم، وسائر مزاعمهم قبل وصولها إلى شبابنا منمقة مزخرفة فيتأثرون بها، فالفكر التكفيري سريع العدوى في الأوساط المجتمعية، ثم الرد عليهم بالحجة والدليل والبرهان الشرعي والعقلي، كقضية تكفير أولي الأمر وما يترتب على ذلك من إمامة المسلمين وحقوقها وواجباتها، والبيعة وغيرها.

---

(١) نفس المصدر، صـــ ١٣١، ١٣٣ باختصار.

(٢) تكلس، من كلس: الكاف واللام والسين يدلٌّ على امتلاءٍ في الـــشيء، انظـــر: معجـــم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (ط. دار الفكر، سنة ١٣٩٩هـــ - ١٩٧٩م) جـــ ٥، صـــ ١٣٥.

٣- تشكيل جبهة دعوية متخصصة (جبهة مكافحة التكفير والتعصب الفكري): إذا كان هناك مؤسسات، أو هيئات لمحاربة التدخين، أو تلوث البيئة، أو الحد من جرائم الأحداث والمخدرات، فإن من الأهمية بمكان إنشاء جبهة لمكافحة الفكر التكفيري المتعصب، حيث إن الفكر لا يعالج إلا بالفكر.

وليست هذه الجبهة العلمية بدعا على الإسلام بل هي من صميم العلاج الإسلامي، قال تعالى:

﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(١) ومعنى (فلولا نفر من كل فرقة يعني بعضا ويقعد البعض ليتفقهوا وليسمعوا ما في الناس وما أنزل بعدهم ولينذروا قومهم يعني لينذروا الناس كلهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)(٢).

ومهمة هذه الجبهة نزع فتيل الطابع التكفيري من أذهان هؤلاء ببيان أن الكفر يعني (تكذيب الرسول (ﷺ) في شيء مما جاء به، وأن الكفر حكم شرعي معناه إباحة الدم، والحكم بالخلود في النار، ومدركه شرعي إما بنص وإما بقياس على منصوص)(٣) وبذلك يسهل إصلاح هؤلاء الغالين وتأهيلهم، ودمجهم في المجتمع، ليكونوا كغيرهم مواطنين صالحين، وتوضيح أن هناك من له مصالح وغايات في حدوث الصراع الفكري بين عناصر الأمة وأنساقها.

---

(١) مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج (الإمام)، تفسير مجاهد، تحقيق: عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي (ط. المنشورات العلمية – بيروت ـ د. ت) جـ ١، صـ ٩٨٢.

(٢) محمد عمارة (الدكتور) مقالات الغلو الديني واللاديني (القاهرة، ط. مكتبة الشروق الدولية، ط. أولى سنة ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤ م) صـ ٤٦.

٤- توحيد آراء المراجع الدعوية وعدم التعارض والتضارب في الرأي:

من أسباب شد بساط الثقة من عناصر المنظومة الدعوية، وتوقف آلية البث التوجيهي، وسيطرة الفكر التكفيري المتشدد على الساحة الدعوية بوسائل نشرها الإعلامية والدعائية، تضارب الآراء والاختلاف بين المراجع العلمية الدعوية ما يؤدي إلى شتات عناصر المجتمع، والمرجعية الدينية من أهم وأخطر المرجعيات على مر العصور، وهم صمام أمن وأمان للأمن الاجتماعي والفكري لكل مجتمع.

وإذا اختلفت المرجعيات وتصارعت فإن حياة الناس الاجتماعية تختل وتضطرب، لذا فإن المهم على الدولة توحيد المرجعيات الدينية المتعددة في إدارة أو هيئة رسمية واحدة، واعتماد رأيها الشرعي والأخذ به، ومنع الفتاوى الفردية في أمور جماعية لما لها من تأثير سلبي على المجتمع إذا لم تكن مؤهلة، والأخذ بالفتوى الجماعية من جهتها المتخصصة في قضايا العقيدة بشكل خاص، وعند حدوث اختلاف فانه ينبغي حسمه بالتصويت بين العلماء.

٥- إنشاء هيئات حوارية متخصصة لعلاج أزمة التكفير:

لابد من الحوار مع غلاة التكفير، فلا يفل الرأي الخاطئ إلا الرأي الصائب، فجميع الأعمال التي تصدر عن الإنسان إنما تصدر عن معتقداته؛ فالتصورات الخاطئة ناتجة عن معتقدات خاطئة، ولا يمكن تعديلها مهما مورس على الإنسان من ضغط جسدي أو نفسي إلا بحجة الحوار وبرهان المناظرة، وقد تمخضت معتقدات المكفرين عن ركام من التصورات التي لا صلة لها بالإسلام، ولا بالمنهج الإسلامي، ولا يمكن معالجتها إلا بفتح نافذة الحوار معهم، بل ودعوتهم إليه.

وقد ذكر القرآن الكريم أمثلة ونماذج كثيرة للحوارات الناجعة، منها ما بين الله (ﷻ) وملائكته[١]، ومنها حوارات الأنبياء والرسل مع أقوامهم، مثل حوارات نوح[٢] وإبراهيم[٣] وغيرهما من المرسلين.

(١) من مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُون وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ سورة البقرة: الآيات: ٣٠ ــ ٣٣.

(٢) ومثله ما جاء في سورة نوح ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌأَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاء لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ سورة نوح: ١ ــ ٤.

(٣) مثاله قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِه عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلَّا كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاء يَنطِقُون قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ سورة الأنبياء: ١٥ ــ ٦٦.

لذا ينبغي أن يكون حوارنا مع الغلاة متحليا بمواصفات تجعله يتفرد على غيره من الحوارات التشنجية والغضبية الفاشلة على نسق حوار القرآن، ومنها:

١- أن يكون حوارا هادفا (شرط إبراء العلاج):

لقد سجل الوجود في طيات التاريخ حوادث وفتن، أودى إلى كثير منها عدم الصدق في الحوار ــ أي حوار ــ حوادث مريعة أفضت[١] مضاجع الأمان، وخطوبا جسيمة اقترفتها طباع ضنكة لا غاية لها إلا الشهرة والنصرة في منتهى الحوار (فما يؤدي إليه الحوار من خلاف وفرقة وتباغض وتناحر يعد مشكلة، وخصوصا عندما يعجز المختلفون عن التفاهم بالمحاورة، أو يغفلون عن ضرورة الالتقاء لتقريب وجهات النظر، أو يقللون من ضرورة الحوار)[٢].

إن الحوار لا يكون هادفا إلا إذا اختلف غاية الاختلاف عن طرائق أصحاب الدعايات، الذين همهم إقناع الخصوم بأية وسيلة مشروعة كانت أم ممنوعة، وكذلك يختلف عن طرق أهل المساجلات الخطابية الذين يرون في الحوار نوعا من أنواع الحروب، لا هدف لهم إلا النصر على العدو، (فمن المؤسف أن يتحول الخلاف في الحوار إلى عناد شخصي، وانتصار ذاتي وعداء ماحق، ومن المبكي أن يبدأ الخلاف في فرعية صغيرة فيرقى إلى الاتهام

(١) من أَفْضَى: أي صار في فَضاء ولم يَتَحَرَّزْ بشيءٍ، وأفضى المكان: وسعه وأخلاه، انظر، كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، (ط. دار الهلال، د. ت) جـ ٣، صـ ٤٤، وانظر أيضا: المعجم الوسيط، جـ ٢، صـ ٦٩٣.

(٢) يحيى بن محمد حسن زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، وهو في الأصل رسالة ماجستير مقدمة لقسم الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى عام ١٤١٣هـ (ط. دار التربية والتراث، ط. أولى سنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م) صـ ٤٤.

في أصول الإسلام)[١] وعند هذه المرحلة يبدو دور جبهة الحوار، وتظهر حكمتها، ويبدو صبرها في السير على أشواك الحوار مع تحمل آلامه، فلا يعنيهم جرح ولا قتل في سبيل هداية الضالين إلى الحق.

٢- أن تعتمد جبهة الحوار على الحجة والبرهان ورد الشبهة مع اللين والأناة (علاج إقناعي):

وذلك النسق له تأصيل قرآني ونبوي يثبت نجاعته في إبراء العلل ودحض الشبهات، ومن أمثلته ما ذكره الله (ﷻ) حين دعا نبيه موسى، وأخاه هارون للحوار مع فرعون ــ مع الفارق بين فرعون ورعاة التكفير ــ حين قال الله لموسى ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إن كُنتُم مُّوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ﴾[٢] ومع ذلك فقد طلب الله تعالى من موسى وهارون أن يقولا لفرعون قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى، مع أنه نازع الله سبحانه في وحدانيته وربوبيته.

إنها أمثلة ربانية عظيمة على السماحة والدعوة للحوار مع المخالفين، والبعد عن القسوة والعنف، فالعنف والقسوة على الغلاة، قد يولدا في نفوسهم شعورا بأنهم على حق، وأنهم كالرسل لهم رسالة لابد أن توضع في طريقها

---

(١) صالح بن عبد الله بن حميد (الشيخ)، أدب الاختلاف، (طبعة ثالثة، سنة ١٤١٢ هـ) صـ ٥.

(٢) سورة الشعراء: ١٦ ــ ٣٣.

الصعاب، وأن النصر في النهاية لهم فيثبتون على مبادئهم التي تزيدها الأيام رسوخا.

إذن لا سبيل لفلاح الحوار إلا بمزيج من الحجة والأناة (وهذا مبدأ النبي (ﷺ)، فقد حاور في زمانه أصحاب الديانات، وحاور الأفكار المخالفة للشريعة، ثم بعد وفاة النبي (ﷺ) استمر صحابته على منهجه فحاوروا أصحاب الديانات الأخرى، فحاوروا الروم وحاوروا الفرس، فدخل العديد منهم في دين الله (ﷻ) بأسلوب مقنع وحجة واضحة، ودليل تذعن له النفوس، وهكذا حاوروا أهل الإسلام من أصحاب الفرق التي عندها شيء من البدع والضلالات)[(١)].

وإدارة الحوار على هذه الشاكلة الأصيلة، يخرج أصحاب التكفير من سجن الترديد والتقليد الذي يعانونه ومن هذا التناجش الفكري، إلى رحابة الفكر العقلي الوزين وسماحته، فهو يفتح أمامهم آفاقا جديدة لم يكن مسموحا لهم داخل جماعاتهم استخدام ملكة العقل فيها.

٣- أن يتصدر لجبهة الحوار رؤوس علماء حكماء أعياهم التفرق والتمزق (علاج توعوي شعوري):

نعم أعياهم معاناة الأمة من ويلات التفرق والتمزق والتي تعد ثمارا خبيثة أسهم في نضوجها غرس التكفير، بل كانت مطية للجبهة الصهيونية والصليبية وأنساقها ممن رتعوا بين أغصان حدائق التكفير ينشرون السموم ويقتلون من ذاق من ثمارها.

وإن الإحساس بهذه المعاناة شرط في ممثلي جبهة الوسطية والاعتدال حتى يجابهوا عن صدق وإخلاص فيخمدوا خطوبا جسيمة وأجراما أليمة اجترحتها

---

(١) سعد بن ناصر الشتري (الدكتور) ــ أدب الحوار في الإسلام ــ تعليق الشيخ عبد العزيز آل الشيخ (ط. كنوز أشبيليا ــ ط. أولى سنة ١٤٢٧ هــ ــ ٢٠٠٦ م) صــ ١٢.

أيدي المغرضين الذين ينتمون إلى الإنسانية زورا وبهتانا، (وقد مارس التمزق ــ وما تمخض عنه من صراع حاد على مستوى العقيدة والشريعة والسلوك، وعبر قنوات الجدل أو القتال ــ دوراً خطيراً في تفتيت قدرات الأمة واستنزافها، وإعاقتها عن مواصلة مهماتها الحضارية)[١].

إن حلقات الصراع الفكري بين الأنساق الفكرية تمثل خطرا على كيانها، فكل نسق يرى نفسه على الحق المبين وغيره على الباطل، حتى كثر تبادل الاتهامات والرمي بالتكفير، وهو ما يدعو إلى ضرورة الاستماع لوجهات النظر ومناقشتها، (لذلك فإننا أمام إمكانية حقيقية وفرصة ذهبية لحوار حكماء يجمع صفوة من العقلاء العلماء الذين يفقهون واقعنا المعاصر مع فقههم للأحكام، والذين يعيشون يرابطون على ثغور المواجهة بين الأمة والصليبية والصهيونية، ويدركون أثر الوحدة الإسلامية في الانتصار على التحديات الشرسة التي تواجه الإسلام والمسلمين، ولا يقدمون الارتزاق من التعصب المذهبي على المصالح العليا للأمة الإسلامية)،[٢] وهو المنهج والإعداد الذي اعتمده الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) "في سعيه لعلاج مشكلة الخوارج فقبل أن يقاتلهم أرسل إليهم عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) ليحاورهم فنجح في مهمته وخفض عددهم إلى النصف حيث تاب نصفهم وعادوا إلى طريق الصواب)[٣]، وتكرر المشهد نفسه في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) فمن

(١) عماد الدين خليل (الدكتور)، مدخل إلى الحضارة الإسلامية، (نشر المركز الثقافي العربي والدار العربية للعوم، ط أولى، سنة ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م) ص ١٧٤.

(٢) محمد عمارة (الدكتور) فتنة التكفير، صـ ١١٧.

(٣) عماد الدين خليل (الدكتور)، مدخل إلى الحضارة الإسلامية، صـ ١٣ بتصرف.

خلال الحوار استطاع أن يجعل من فترته أهدأ فترات الدولة الأموية من حيث المشكلات التي كان يثيرها الخوارج والمعارك الداخلية.

إذن شرط نجاح الحوار أن تكرس جبهته المرشحة بجملة من ذوي العلم الواسع، لديهم طريقة حكيمة في تقنين الآراء والمفاهيم المغلوطة والرد عليها، و (إن حوارا علميا يقوم به نفر من هؤلاء العلماء الحكماء لإنجاز المقصد العظيم ــ تطهير التراث المذهبي من تهم التكفير لمن قال لا إله إلا الله، محمد رسول الله ــ ليقودنا إلى وحدة الأمة الإسلامية، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله)[(١)].

٤- الأخذ في الاعتبار عند الحوار الظروف النفسية والاجتماعية (علاج نفسي واجتماعي):

من الضرورة أن يسير الحوار متدرجا وفق النمو المطَّرِد في الأفكار والتصورات، والنمو المُطَّرِد في المجتمع والحياة والبيئات، وفق المشكلات العملية التي تواجهها الجماعة المسلمة في حياتها الواقعية – فيلزم الأخذ في الاعتبار لهذه الظروف، (وتوقع الأوقات المناسبة لقبولهم النصيحة، لتسري إلى قلوبهم برفق، وتتعمق إلى المشاعر بلطف لتجد مكانا تستقر فيه، فمن دواعي الحوار ألا يسعى القائم بالإنكار إلى إظهار الأخطاء، لأنها قد تقع عن جهل، أو حسن نية، وهذا يقتضي عدم التحامل على المخالف أو ترذيله أو تقبيحه)[(٢)] وذلك حتى تؤتي المحاورة ثمارها وينكرون على أنفسهم ما هم فيه، وترسم لهم الصواب، وتصحح لهم أخطاء الشعور والسلوك، وتربطهم في هذا كله بالله ربهم.

---

(١) محمد عمارة (الدكتور) فتنة التكفير، صـــ ١١٧ بتصرف.

(٢) عبد الله بن عبد المحسن الطريقي (الدكتور) الإنكار في مسائل الخلاف، (مكتبة الملـــك فهد الوطنية، الرياض، ط. أولى، سنة ١٤١٨ هـــ، ١٩٩٧م) صـــ ٤٧ بتصرف يسير.

٥- وفى المنتهى إذا لم يثمر الحوار، يلزم الجبهة إعلان البراءة من الغلاة إذا لم يستجيبوا لله وللرسول بالحجة والبرهان (علاج وقائي): لا يثمر الحوار كعلاج ناجع لمسألة التكفير إلا في جو صاف من الكدروات الخبيثة، إذ يمكن العلاج (بطريقة بناءة في إطار حوار موضوعي هادئ إذا توفرت الإرادة الصادقة والنوايا المخلصة)(١).

نعم.. بالطبع قد لا يجد الحوار مع المتلبسين بالتكفير عنادا وغلظة وغطرسة، فهولاء يجعلون أصابعهم في آذانهم ويستغشون ثيابهم ويصرون ويستكبرون استكبارا عند الحوار، وذلك طريق الهلكة على حد قول رسول الله (ﷺ): ﴿أخوف ما أخاف على أمتي ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب كل ذي رأى برأيه﴾(٢) فالعجب بالرأي من المهلكات، فحين يصل

---

(١) محمد محمود حمدي زقزوق (الدكتور) الإسلام وقضايا الحوار ــ ترجمة د. مصطفى ماهر (ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ القاهرة سنة ١٤٣٢هـ ــ ٢٠٠٢ م) صـ ٤٤.

(٢) من حديث أنس بن مالك، رواه الطبراني في المعجم الوسيط بلفظ (ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه من الخيلاء وثلاث منجيات العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفاقة ومخافة الله في السر والعلانية) راجع، المعجم الأوسط للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، بتحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني (الناشر: دار الحرمين – القاهرة، ١٤١٥ هـ) جـ ٥، صـ ٣٢٨. والبيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين، في شعب الإيمان، بتحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، (الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ــ الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ) جـ١، صـ ٤٧١. وذكره الأصبهاني بلفظه في الحلية وقال حديث غريب، راجع حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ــ ط. رابعة، ١٤٠٥ هـ) جـ٢، صـ ١٦٠.

الأمر إلى أن يمثل الغلاة خطرا على المجتمع والأمة المسلمة بأكملها، وينضمون إلى جبهة القتلة المعتدين الذين يؤمنون بالرصاصة القاتلة لا بالكلمة العاقلة، وبسن السكين لا بسن القلم، وبفكرة القوة لا بقوة الفكرة، فهؤلاء صدحـــوا بشعار:

(لا حوار مع الكفرة)، إنما الحوار مع الذي ألقى سلاحه خلفه وجاء ليعرف مكانه من الحق ومكان الحق منه، وأراد أن يكتشف خطأ الطريق الذي سلكه.

أما من صدوا صدودا فلا سبيل للتعامل معهم إلا تطهير الأمة من ويلاتهم، فهذا العناد لا يسكنه إلا درة عمر، فهي علاج تربوي لمن غارت معالم التربية وغابت من سلوكهم، وبذلك يكونوا قدوة لغيرهم وموعظة لمن فكر أن يسير على نهجهم، ومن ثم تتطهر المجتمعات (من كل أحكام التكفير لمن يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وذلك بنزع هذه الألغام الموقوتة والمتفجرة من ثقافة أمتنا، الأمر الذي بدونه سيظل الحديث عن وحدة الأمة ضرب من العبث بل ــ وفي بعض الأحيان ــ لونا من ألوان النفاق)(١).

إذن إن لم تستجب عقول الغلاة لحوار العقل، فحوار العصا هو الحل، وليست أي عصا، إنها عصا القاضي الذي يحكم بين الناس لصلاح المجتمع من المفسدين، فأقل ما يمكن إنجازه من هذا النوع الفريد من الحوار، هدم جبهة المتعاطفين مع هذه التيارات التكفيرية التفجيرية، ما يؤدي إلى محاصرة تلك التيارات وإضعاف مدها وتغلغلها، والذي يأتي غالبا من المتعاطفين معها.

(١) محمد عمارة (الدكتور) فتنة التكفير، صـــ ١١٣.

المبحث الثالث
التحذير من خطورة التكفير
في الوسائل التعليمية وعلاجه بأساليب منهجية

يشكل المنهج التعليمي الإطار الكلي للعملية التكوينية الفكرية والبنائية الثقافية، فهو أداة التربية في تحقيق أهدافها والوصول بالفرد المتعلم إلى أقصى ما يمكن من إبراز طاقاته، والكشف عن قدراته، وتنمية ما لديه من استعدادات ومواهب، وإمداده بمختلف المهارات الجيدة التي تمكنه من العيش الرغيد من أجل نفسه ومن أجل المجتمع الذي ينتمي إليه.

(ويضم المنهج التعليمي كل الخبرات التي يكسبها التلميذ تحت إشراف المدرسة وتوجيهها سواء أكان ذلك داخل الفصل الدراسي أو خارجه) [١].

وإن عناصر المنظومة التعليمية هم الذين يديرون المنهج التعليمي، وهم الذين يعملون على تحقيق أهدافه، لذلك من الضروري أن يكون منهجا معلنا يخضع للسيطرة الكاملة، ومحصنا من بث الأفكار التكفيرية المتشددة، والتي يروج لها في هيئة منشورات سرية أو تسجيلات صوتية أو مواد تكنولوجية متطورة تعمل مصادرها من خلالها آلية لتحقيق أهدافها بأشكال وطرائق غير مباشرة، ويلعب هذا الدس الفكري دورا خطيرا في تشكيل وتأهيل وصناعة الفكر التكفيري في ثقافة الطلاب.

---

(١) محمد صلاح الدين مجاور وفتحي عبد المقصود الذيب. المنهج المدرسي أسسه وتطبيقاته التربوية. (ط. دار القلم ط. سادسة ١٩٨٤م). صـ١٠٦.

ومن ضمن جملة المحاذير الوقائية أفكار بعض المعلمين ومناهجهم الخفية على منوال التكفير، ويروج لها فيما يقدم من المحفزات وبعض الجوائز التي تقدم للطلاب على أنها أشرطة دينية، ولكن بعضها يحتوي على أفكار متشددة أو تهيئ الطالب لنقل الفكر التكفيري المتطرف مستقبلا، إذن منهج المعلم (يأتي على رأس العوامل المؤثرة في تنشئة أولادنا داخل المدرسة من خلال عمليات التفاعل الاجتماعي، وتصبح المكتسبات الأخلاقية والثقافية للطفل ذات علاقة باتجاهات المعلم نفسه، الأمر الذي ينبه إلى خطورة المعلم باعتباره وسيطا اجتماعيا وخلقيا للطفل دون أن تكتمل في ذاته ثوابت القيم الخلقية الحقة والاتجاهات التي يصوب نحوها المجتمع فيكرس من خلال مواقفه التربــوية انحصـــار القــيمة الخلقية)(١).

بل قد تتحول المدارس في بعض الأحيان من حيز التعليم والتربية، إلى ساحات وعظ وإرشاد من نوع خاص وتأصيل بعض الأفكار المتشددة مثل الانعزالية أو التكفيرية التي قد ينقلها بعض المعلمين، والخطورة هي أن المعلم يعتبر المثل الأعلى والقدوة الحسنة في نظر الناشئ، يحاكيه سلوكيا من حيث يشعر أو لا يشعر.

وعندما تنحرف هذه القدوة في الفكر أو السلوك، فإنها ستبث أفكاراً شاذة منحرفة للنشء، تأخذ أشكالا وأنساقا كثيرة، يتعلق بعضها باكتساب الفرد أفكارا تكفيرية معادية لتعاليم الدين وسماحته، أو معادية ومخالفة للقيم الثقافية الأخلاقية الرئيسة السائدة في المجتمع.

---

(١) عبد المنعم محمد، الممارسات التربوية في التربية الإسلامية بالمدرسة الثانوية العامـــة، مؤتمر "التربية الدينية وبناء الإنسان المصري" الذي نظمه قسم أصول التربية، جامعـــة المنصورة في الفترة من ٢١-٢٢ ديسمبر، ١٩٩٣، صــ١٧.

وتعتبر المؤسسة التعليمية بوسائلها المؤسسة الاجتماعية الثانية بعد الأسرة مباشرة التي يبدأ اتصالنا بها في مرحلة مبكرة من الحياة، وتقوم المؤسسة التعليمية بمعالجة النزعات التكفيرية القابعة في نفسية الطلاب وذلك بوسائل تربوية وتكوينية متعددة منها:

١- إشباع الفراغ الذهني الطلابي بإحلال بدائل تكوينية صحيحة:

(وعملية الإشباع (الذهني) تتطلب أن يكون أفراد المجتمع قد اكتسبوا قدرا من المعلومات والقيم والاتجاهات والمهارات الأساسية عن طريق نظام تربوي مقصود لا عن طريق التربية غير المقصودة، وليس ذلك فحسب، بل لا بد في المناهج من مراعاة عوامل التغير الثقافي داخل المجتمع، وتوعية التلاميذ بحقيقة التغيرات التي تحدث حولهم وأسبابها، والنتائج المترتبة عليها، وكيفية مواجهتها، ويجب عند إعداد المناهج دراسة المشكلات الخاصة بالمجتمع وتحديد الخبرات التعليمية التي يجب أن يدرسها التلاميذ، سواء أكانت هذه المشكلات اجتماعية، أم سياسية، وعلى المناهج أن تعرّف التلاميذ بهذه المشكلات وأن تساهم في توعيتهم بها واتخاذ اتجاهات معينة نحوه)(١).

٢- كشف المؤسسات التعليمية عن خطورة الخلايا التكفيرية وأهدافها:

يبدو دور المؤسسات التعليمية في وقتنا الراهن مهما في كشف خطورة المنظمات التكفيرية المدسوسة على الإسلام، فالفضاء أصبح يحمل بين ذراته الطبيعية حمولة معرفية وفكرية وثقافية تفيض بالمفاهيم والأفكار والقيم والثقافات والممارسات والسلوك التي تمثل خطراً على أمن المجتمع ما يؤثر سلبا على أفراد المنظومة المجتمعية، كما تنعكس سلباً على مجمل الجهود

---

(١) الرشدان، عبد الله، المدخل إلى التربية والتعليم، (دار الشروق، فلسطين – رام الله، ط٢، ١٩٩٩م)، صـــ ٣٠٢.

التربوية المبذولة من كافة الوسائط، وتصعب مهمة المجتمع المسلم في تحقيق الغاية التربوية، إذ يتجلى في الهواء المتنفس من هذا الفضاء عناصر فكرية ملوثة تلاحق عقليات الشباب على اختلاف أعمارهم فتهدف إلى ما يلي:

أولا: اصطياد فئات صغار السن ومحاولة الاستيلاء على عقولهم، وترسيخ المفاهيم الخاطئة في نفوسهم حتى يصلوا إلى الاعتقاد بأن هذا التوجه هو الطريقة الفضلى فيما يعتقدونه من مفاهيم أو ما يتكلمون به، أو ما يتحلون به.

ثانيا: تشكيل خلايا وتنظيمات سرية، وإلزام أعضائها بنظام دقيق وصارم قد يصل إلى أن يضحي العضو بممتلكاته المادية، وواجباته الأسرية، بل ويضحي بعمله ونفسه(١).

وتتعدد وسائل الحرب الباردة على الفكر الطلابي في واقعنا المعاصر، وتأخذ أشكالا متباينة، لذا يلزمنا أن ينفر فينا من كل مؤسسة من حزمة مؤسساتنا المجتمعية طائفة ليأخذوا بأيدي الشباب، وخصوصا في المؤسسات التربوية التعليمية، لأن مخططات المغرضين تدور حول رحى تعطيل الطالب عن مجرد رسم وتحديد خططه وبرامجه التربوية والتعليمية التي تتناسب مع إمكاناته واستعداداته وقدراته واهتماماته وأهدافه وطموحاته، ما يترتب عليه من صعوبة التعامل مع المشكلات الدراسية التي قد تعترضه مثل التأخر الدراسي وبطء التعلم وصعوباته، ظنا منه بأن انتماءه إلى منظمة فكرية متشددة، أو ذوبانه في فئات تكفيرية هو أكبر استثمار لذروة شبابه، ومن هنا تجد المؤسسات التعليمية معاناة في ملاحقة هذا الفكر، لأنه يتطور من مجرد فكر

---

(١) بيومي، محمد أحمد، ظاهرة التطرف: الأسباب والعلاج، (الإسكندرية الفنية للطباعة والنشر، سنة ١٩٩٩) صـ١١٢.

ليتمرد فيصبح هدفا وغاية،وعليه فقد أصبح من الضروري ممارسة صهر القوالب المؤسسية بمختلف توجهاتها (دعوية أو أمنية أو اجتماعية أو التربوية...إلخ) في المؤسسات التعليمية.

٣- التركيز على الجانب التكويني المثالي لبناء شخصية الطالب:

ويقصد به الأسس التكوينية لبناء الذات والشخصية السوية التي تعاني من تحديات فكرية وثقافية تؤثر في النمو السلوكي بعوامل من التعرية الهدامة، وذلك يتطلب توعية قيمية وسلوكية مكثفة، فالتوعية السلوكية والقيمية تنعكس تلقائيا على إصقال مرآة التفكير فتعكس سلوكا معتدلا، وترسخ الشعور بالراحة في نفسية التلاميذ (فهي تهدف إلى إكساب الأطفال أساليب سلوكية معينة ودوافع وقيم واتجاهات يرضى عنها المجتمع الذي يعيش فيه الفرد ــ في المستقبل ــ بحيث تشكل طرق تفكيره وأنماط سلوكه وحكمه على المعاني والأشياء)[(١)].

٤- متابعة التكوين الفكري والمعرفي للمعلم نفسه:

ويتطلب هذا الدور أن يكون المعلم مصدراً ثرياً بالمعارف المعتدلة وثقافة الحوار ومعدا إعدادا يؤهله لمعالجة طلابه، لا أن يكون هو في ذاته سقيما بالتكفير، فيستنسخ منه صورا عديدة تتخرج عليه فتمثله في المجتمع، وذلك مهم ليتمشى مع الثقة المطلوبة ويتجاوب مع عقليات الطلاب، ويغلق منافذ وصول الفكر التكفيري إلى تفكيرهم، ولديه سلطة علمية متجددة وذلك يساعد المعلم على اكتساب ثقة تلاميذه واحترامهم له وبالتالي التأثير عليهم والمعلم الكفء هو القادر على النزول إلى أعلى وهي عملية تتطلب كفاية علمية، (ومن خلال ذلك يمكنه أن يصنف التنشئة الاجتماعية للتلميذ تصنيفا سليما، وهذا هو الهدف

---

(١) مصطفى محمود منجود: الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن في الإسلام، سلسلة الرسائل الجامعية (٢٦) (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، سنة ١٩٩٦) صـ ٤٤-٤٥.

الأسمى للتوعية الفكرية والعقدية، لأن التنشئة الاجتماعية تعني: العملية التي يتم بها انتقال الثقافة من جيل إلى جيل، والطريقة التي يتم بها تشكيل الأفراد منذ طفولتهم حتى يمكنهم المعيشة في مجتمع ذي ثقافة معينة، ويدخل في ذلك ما يلقنه الآباء والمدرسة والمجتمع للأفراد من لغة ودين وتقاليد وقيم ومعلومات ومهارات)[١].

والمعلم كناقل للمعرفة، يجب أن يعرف طلابه قدر استطاعته على التوجهات الثقافية وكيفية تحقيق الأمن الثقافي لمواجهة التكفير والغلو، وهو موضوع غاية في الأهمية، (لأنه يتعلق بهويتنا وعقيدتنا وبمدى ثقتنا بمنظومتنا الدينية والوطنية وقدرتها على مواجهة التحديات التي يفرضها الانفتاح العالمي في مختلف الأبعاد الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية)[٢]، والثقافة الإسلامية المعتدلة الوسطية بمختلف مناشطها وأدواتها وآفاقها، قادرة ــ إذا تحقق لديها القدرة المناسبة ــ على مواجهة كل التحديات الفكرية المغالية التي تواجه شبابنا في الحقبة الراهنة، ومن أكبر المساهمات التي تؤدي إلى ذلك، ما يترتب على مردود التوعية التعليمية من قبل عناصر المنظومة التعليمية.

---

(١) محمد عماد الدين إسماعيل، الأطفال مرآة المجتمع، عالم المعرفة، العدد (٩٩) (الكويت، ١٩٨٦)، صـ ٢٦٩-٢٧٠.

(٢) حسن، سمير إبراهيم (الدكتور)، الثقافة والمجتمع (ط. دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٧م) صـ٤٥١.

المبحث الرابع
توجيه الوسائل الإعلامية
لبث الفكر المعتدل بأساليب ترغيبية

تتميز الوسائل الإعلامية بتأثيرها العميق والشامل على جميع مناحي الحياة والثقافة والفكر، وقد تزايد هذا التأثير بشكل كبير مع الثورة الاتصالية والتقدم التقني الذي أدى إلى ظهور وسائل اتصالية حديثة وسريعة وأكثر تحرراً واستقلالية، ونظرا للأهمية العظيمة التي يكتسبها الإعلام بوسائله –المسموعة منها والمقروءة – يجب وضع المحاذير من التأثيرات السلبية التي قد تحول لغة الإعلام إلى آلية هدم ودمار تهدد مجتمعاتنا العربية والإسلامية، بدلا من كونها آلة بناء وعمار، بينما تُطرح بعض الآمال نحو تفعيل دور الإعلام في تحقيق المواجهة الكاملة والتغطية الشاملة لتقويض ظاهرة التكفير ومواجهة تحديات التغير الفكري، وتتمثل الملامح العلاجية الإعلامية لظاهرة التكفير في عدة أشكال متناغمة منها:

١- الحرص على تحقيق صياغة توجيهية هادفة لمعالجة ظاهرة التكفير وترك العشوائية الإعلامية:

مما لا شك فيه أن مجالات الإعلام المختلفة تتميز بخاصية مزدوجة تنفرد بها وسائل الإعلام إلى حد كبير حيث تربط الإعلام بالفكر والثقافة علاقة وظيفية تبادلية ذات تأثير وتأثر متبادل، تتم من خلال عملية الاتصال بين الإعلام والمجتمع، وعليه تبدو قيمة الوسائل الإعلامية في تحقيق صياغة توجيهية هادفة لمعالجة ظاهرة التكفير من وجهتين رئيستين:

أ- أن الإعلام وسيلة اتصال مباشرة يمكنها الهيمنة والتحكم في الأفكار والثقافات إذن نستطيع أن نشير إلى الإعلام على أنه عملية اتصال ("Communication" وهي مأخوذة من "Common" بمعنى: اتصال أو مشترك وعام، فالاتصال كعملية؛ يتضمن المشاركة حول شيء أو فكرة أو إحساس أو اتجاه أو سلوك أو فعل ما، فنحن عندما نتصل بالناس في حياتنا اليومية إنما نشترك معهم في تبادل الأفكار و المعلومات)(١).

فالاتصال الإعلامي في أبسط صوره هو "إرسال رسالة من مصدر إلى مستقبل بغرض إحداث تأثير"، وعملية الاتصال هذه طريقة علاجية محكومة بموادها المروجة في السوق الإعلامي، وليست هذه العملية الإعلامية بدعة على المجتمع، فالإنسان منذ بدء الخليقة يعيش في تجمعات بشرية، و لكي يتفاعل الإنسان مع مجتمعه، لابد عليه من أن يتصل بمن حوله حتى يستطيع أن يتبادل الأخبار، المعلومات، الآراء، المشاعر، و التي تؤثر في حياته اليومية.

لذا يتميز المجتمع الإنساني بأنه مجتمع اتصالي، لأن الناس تحتاج إلى الاتصال بالآخرين لتسهيل أمور حياتهم، وعندما نتحدث عن علاقة الإعلام بمعالجة ظاهرة التكفير و نصفها بأنها علاقة تفاعلية و مسؤولية متبادلة، فإن ذلك يعني أننا بدأنا ندرك ونعي أهمية توظيف وسائل الإعلام في إثارة قضايا علاجية لظاهرة التكفير في المجتمع، و استغلالها في التوعية الشاملة لكل أفراد المجتمع بالنسبة لما يتعلق بمفهوم التكفير وأخطاره، وبضرورة دمج الشرائح التكفيرية في مجتمعاتها، لكي يكون عضواً فاعلاً كبقية أفراد المجتمع.

---

(١) صلاح الدين جوهر (الأستاذ) علم الاتصال: مفاهيمه، نظرياته، مجالاته، (القاهرة، مكتبة عين شمس، سنة١٩٨٠)، صـــ ٥.

ب- إمكانية استغلال الوسائل الإعلامية في بيان آراء العلماء وموقفهم من التكفير: ومن نماذج هذه الآراء قول الإمام ابن تيمية: (إن الكفر حكم شرعي متلقي عن صاحب الشريعة، والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه، وليس كل ما كان خطأ في العقل يكون كفرا في الشرع، كما أنه ليس كل ما كان صوابا في العقل تجب في الشرع معرفته، وإنما الكفر يكون بتكذيب الرسول (ﷺ) فيما أخبر به أو الامتناع عن متابعته مع العلم بصدقه)[١] واستطرد الإمام في ذكر رفض العلماء كالشافعي وأبي حنيفة وغيرهما للتكفير لأهل القبلة مطلقا، ذلك بعض ما قاله الإمام ابن تيمية في رفض التكفير، والذي قال عنه الإمام محمد عبده (إنه أعلم الناس بالسنة وأشدهم غيرة على الدين)[٢]، وجاء في متن الطحاوية في هذه المسألة:(ولا نكفر أهل القبلة بذنب ما لا يستحله)[٣]، ومن يعاين مقال العلماء في هذه المسألة يجد توافقا وإجماعا على رفض تكفير من قال ﴿لا إله إلا الله محمد رسول الله﴾ مالم تتوفر شروط التكفير وتنفي موانعه.

المهم.. أن استغلال وسائل الإعلام في عرض كلام العلماء في هذه المسألة، يثمر في عملية بتر وتقويض ظاهرة التكفير، فهي تسهم في تشكيل الخطاب الإعلامي لتوصيل الرسائل الإعلامية لفئات مختلفة من الجمهور، ويتأثر مستوى الأداء الإعلامي سلباً أو إيجاباً بمستوى الأداء ومستوى الإعداد،

---

(١) ابن تيمية (الإمام)، بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقــول (ط. القــاهرة ســنة ١٣٢١هــ) جــ ١، صــ ١٤٥.

(٢) محمد عبده، (الإمام) الأعمال الكاملة، جــ ٣، صــ ٣٥٩.

(٣) الطحاوي، أبو جعفر (الشيخ) ــ متن العقيدة الطحاوية ــ (ط. دار البشائر الإسلامية ــ بيروت ــ سنة ١٩٩٣م) صــ ١٩.

فكلما كان الأداء راقياً وسليماً ومبدعاً كانت مهمة توصيل الرسائل الإعلامية أكثر يسراً وأكثر تأثيراً في الجمهور المستهدف، وعلى الجانب الآخر تتأثر العقليات والأفكار بصور مختلفة -إما مسخاً أو ارتقاءً- بما يُقدم في وسائل الإعلام.

يضاف إلى ما سبق أن خطورة وسائل الإعلام يتلخص في كونها وسيلة ترويجية للفكر والثقافة، وأداة للتعبير، وآلة تصدي وبث لثقافة الأمة.

لذلك تعد وسائل الإعلام ركيزة لترسيخ ثقافة التسامح، ونبذ التكفير والغلو ومزجها بوسطية الإسلام حتى لا تستأصل.

٢- الاستفادة من نظرية الغرس (الإنماء) الثقافي Cultivation Theory في معالجة ظاهرة التكفير إعلاميا: هناك نظرية إعلامية تبدو مفيدة و نحن نتحدث هنا عن استخدام آلية الإعلام في مواجهة ظاهرة التكفير، و هذه النظرية هي نظرية "الغرس الثقافي "Cultivation Theory"[(١)]، وتفترض النظرية (أن الأشخاص الذين يشاهدون كميات ضخمة من البرامج التلفزيونية

---

(١) وهي نظرية تعتبر كمنظور لدراسة أثر وسائل الإعلام، بدأ هذه النظرية الباحث الأمريكي جورج جربنر من خلال مشروعه الخاص بالمؤشرات الثقافية وقد اهتمت بحوث المؤشرات الثقافية بثلاث قضايا متداخلة هي: دراسة الهياكل و العمليات التي تؤثر على إنتاج الرسائل الإعلامية، و دراسة الرسائل و القيم و الصور الذهنية التي تعكسها وسائل الإعلام، و دراسة الإسهام المستقل للرسائل الجماهيرية على إدراك الجمهور للواقع الاجتماعي، وتنص النظرية على "أن مداومة التعرض للتلفزيون – ولفترات طويلة و منتظمة- تنمي لدى المشاهد اعتقاداً بأن العالم الذي يراه على شاشة التلفزيون، إنما هو صورة من العالم الواقعي الذي يحياه، راجع: جيهان رشتي، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، (القاهرة ط. دار الفكر العربي سنة ١٩٨٧ م)، صـ ١٥٥- ١٥٩ باختصار.

(كثيفو المشاهدة) يختلفون في إدراكهم للواقع الاجتماعي عن أولئك الذين يشاهدون كميات قليلة من البرامج أو لا يشاهدون (قليلو المشاهدة)، ذلك أن كثيفي المشاهدة سيكون لديهم قدرة أكبر على إدراك الواقع المعاش بطريقة متسقة مع الصور الذهنية التي ينقلها عالم التلفزيون، و يرى واضعوا النظرية أن وسائل الاتصال الجماهيرية تحدث آثاراً قوية على إدراك الناس للعالم الخارجي، خاصة هؤلاء الذين يتعرضون لتلك الوسائل لفترات طويلة ومنتظمة)[١].

والذي نخلص إليه أن الاستفادة من مثل هذه النظرية، تحصل من خلال دمج الوعي الفكري بأجهزة الإعلام بعد إعداد منظومة برامج توعوية مؤثرة تستثمر في مواجهة ظاهرة التكفير، وخصوصا أن نظرية الغرس الثقافي تفيد بأن الأفراد كثيفي المشاهدة بانتظام يميلون إلى رؤية العالم كما يصوره جهاز الإعلام مقارنة بغيرهم ممن هم قليلي المشاهدة، فالعرض المتكرر يشكل الآراء ويبني المواقف، كذلك المشاهدة المتكررة تخلق ثقافة موحدة للحقيقة و الاعتقادات التي توجد عليها المردودات الفكرية، وعلى قدر تكرار هذه البرامج المؤثرة في مواجهة أو معالجة ظاهرة التكفير نظريا، تكون إيجابية التحصيل والثمرة المرجوة تطبيقيا وواقعيا.

٣- مجابهة برامج التيارات الفكرية التكفيرية بالرد أو بالحجب:

إن المعالجة الجزئية أو المواجهة الحاسمة لما تبثه بعض الفضائيات التابعة لجهات تكفيرية أو متشددة تتطلب عدة مطالب:

---

(١) حسن عماد مكاوي ، وليلى حسين السيد، الاتصال و نظرياته المعاصرة، (القاهرة ط. الدار المصرية اللبنانية، ط. أولى سنة ٢٠٠٣م) صـ ٣٨٣.

أ- معالجة الخلل الكبير الموجود على مستوى الأجهزة الإعلامية، وإعادة صياغة البنيات التحتية لوسائل الإعلام والشبكة المرئية والمسموعة وتفعيلها في خدمة استقرار المجتمع وحمايته من ظاهرة التكفير، وما ينتج عنها من مخاطر، فالواقع الذي يعيشه الإعلام العربي والإسلامي في مخاض عسير في التأقلم مع تطور التقنية والثقافة وفي التعامل مع الآلة الاتصالية والإعلامية في تلوناتها الجديدة المستغلة في الترويج لما يثير القلاقل في المجتمع من مثل هذه الظاهرة وأشكالها.

ب- استغلال كافة التجهيزات الإعلامية بشكل واف في مواجهة هذه الظاهرة المثيرة للفتن وتفعيل كل الآليات والتجهيزات التي تخدم التصدي لها.

جـ- معالجة الإعداد الرديء لبرامج الدراما الإصلاحية المتخصصة في مواجهة هذه الظاهرة، والذي يعتري التطبيقات والمضامين العلاجية السلبية، وتشخيص روح الاعتدال العقدي تشخيصا دقيقا يعبر عن طبيعة وسطية الإسلام في قالب إعلامي فعال، ووضع الإعلام المضاد عن طريق تدفق مستمر وواع للمعلومات والحقائق عن ظاهرة التكفير وآثارها بما لا يترك فراغاً يستثمره الآخر على نحو سئ، مع ضرورة استضافة الراسخين في علوم الشريعة والحياة لتوضيح المنــزلقات الفكرية التي يتبناها المكفرون، والرد عليها بصورة موحدة، حتى لا يستخدم التضارب في الردود ضد آلية العلاج الإقناعي الحكيم.

المبحث الخامس
صياغة حلول للمشكلات
النفسية والاجتماعية التي ينعكس عنها التفكير

قد تؤدي بعض التشنجات والتراكيب النفسية المعقدة عند بعض الأفراد إلى تكوين بؤر نكدة تنعكس على الرؤية والفهم والثقافة والسلوك، ولمعالجة هذه البؤر المعقدة لا بد من الإحاطة بأسباب تكوينها، ومعرفة المعوقات النفسية ليسهل العلاج، فمن شروط صناعة الدواء الشافي دقة تشخيص الداء، ومن الدوافع النفسية السقيمة ما يلي:

أولا: حب الظهور والشهرة الناتج عن الشعور بالنقص وإيجاد بدائل تكميلية: حيث لا يكون الشخص مؤهلا، فيبحث عما يؤهله باطلا فيشعر بالتفاخر، وإكمال النقص بالرأي المخالف ولو على حساب العقيدة، فيلجأ إلى التكفير سدا لهذه الفجوة النفسية.

ثانيا: الشعور بالإحباط النفسي وضرورة معالجته: فقد يؤدي شعور الشخص بخيبة أمل في نيل حقه أو الحصول على ما يصلحه ويشفي صدره، ومنع حرية الرأي والتعبير، إلى انتمائه إلى التحزبات السرية وردود الأفعال الغاضبة في صورة التكفير والإرهاب واعتناق الأفكار الهدامة.

ثالثا: التأثر ببيئات التوتر والصراع الفكري وحتمية تقنينه:

إن الفكر لا يتحرك في فراغ، (وإنما هو في كثير من الأحيان يستجيب لمتطلبات الواقع ويعبر عنه، فإن مذاهب التشدد في الالتزام بالنصوص،

ومذاهب إطلاق حرية الرأي والاجتهاد لم تبرز إلا تلبية لواقع اجتماعي معين ساد في بيئة واختلف في بيـــئة أخرى)(1).

ومن المسلم به بدهيا أن لكل شيء مقومات يقوم عليها، وبيئة ينمو فيها، ومناخ ينشأ عليه ويعيش فيه، وهذه المقومات من بيئة ومناخ هي التي تهيئ الأسباب لحدوث الأشياء سواء كان الحدث يتعلق بالجماد أو النبات أو الحيوان أو الإنسان.

ويمكن القول:

أن الأحداث الاجتماعية والسياسية والفكرية، تولد من خلال بيئة ومناخ مناسب، وقد تكون هذه البيئات جماعات أو مناطق أو كيانات دولية مستقلة، ولذا يؤمن الباحثون بأن الإبداع والاختراع، و الجريمة والصراع، ما هي إلا أفكار تنشأ في بيئات معينة وتضعف، وتموت في بيئات أخرى، وقد أشارت كثير من الدراسات إلى دور البيئة على الإنسان، وتأثيرها في فكره وسلوكه، وفي ظل الانفتاح الثقافي المعاصر، تنعكس مردودات البيئات، وتمتزج في بعضها، بما لا يتناسب مع ظروف الأنساق البيئية المتباينة، وهذا من أخطر الأدوار البيئية المؤدية إلى التكفير كمثال لنتيجة من جملة نتائج تترتب على البيئة.

ويزخر التاريخ أيضا بأمثلة للانحراف الفكري المتسم بالبساطة المخلة في قياس الأمور وإدراكها و(من أبرز تلك الأمثلة ما عرف عن فكر وسلوك الخوارج واتصافهم بالغلظة والجفوة والعنف على المسلمين، فاستحلوا دماءهم وأموالهم وأعراضهم في حين أنهم يرحمون أعداء الإسلام من أهل الأوثان)(2).

---

(١) فهمي هويدي، المفترون: خطاب التطرف العلماني فـــي الميــزان. (القــاهرة، ط. دار الشروق. ١٩٩٦ م) صـــ ١٩٦.

(٢) جرجس، فواز، الحركات الإسلامية ودورها في الاستقرار السياسي في العالم العربـــي. الإمارات: مركز الإمارات للدراسات، ٢٠٠٢) صـــ ٤٦ بتصرف.

رابعا: الميل الطبعي إلى الخلاف، والنزوع إلى الصراع: اقتضت حكمة الله تعالى أن تختلف آراء الناس وأفكارهم في أمور الحياة، وسبب ذلك أنهم خلقوا أساسا مختلفين في الأمزجة والميول والرغبات، وهذه حقيقة لا يدركها إلا أصحاب العقول السليمة، والإنسان العاقل هو الذي يؤمن ويسلم بالاختلافات بين الآراء والاتجاهات لدى الناس حول مختلف أمور الدين والدنيا، وفي ظل هذا الإيمان تجده يتجه إلى البحث عن نقاط التوافق والائتلاف، ويبتعد ما أمكن عن مثيرات النفور والاختلاف.

وإن الفكر السوي يُسلم بتعدد الأبعاد والرؤى ويعمل على التواصل مع الآخرين والانفتاح على العالم، والإفادة من خبراته وأفكاره دون صراع أو تسفيه، في الوقت الذي ينزع فيه الفكر المنحرف إلى الخلاف والصدام مع الآخرين عند ظهور طيف أي خلاف، ما يسوق إلى التكفير للطرف الآخر كلون من ألوان هذا الفكر المنحرف، وذلك من خلال ما يلي:

أ- **الضلوع في تشويه الحقائق:** إذ (يتسم الفكر التكفيري بقدرته على قلب المفاهيم وتشويه الحقائق وطمسها، وتقديم أدلة وبراهين غير كافية أو مناقضة للواقع، واستعمال الكلمات بمعان مُبهمة غير محددة أو بمعان متقلبة ومختلفة)(١).

ب- تبرير الغايات عند ارتكاب الأغلاط: عندما ينحرف الفكر ويعوج، فإنه يركب أي وسيلة للوصول إلى غايته، فيتبنى مبدأ الغاية تبرر الوسيلة، لعدم تورعه عن تقديم النصح باستخدام أية وسيلة متاحة في الصراع، ظنا منه بأنه ينتهي بإقامة دولة مسلمة بديلة عن الدولة الكافرة التي يعيش فيها.

---

(١) جابر، سامية، سوسيولوجيا الانحراف، (القاهرة ط. دار المعرفة الجامعية، سنة ٢٠٠٤ م) صـ ٨٩.

(ولقد سجل التاريخ صحائف سوداء في هذا السبيل من ذلك، عندما لقي الخوارج في طريقهم عبد الله بن خباب، فقالوا: هل سمعت من أبيك حديثا تحدثه عن رسول الله (ﷺ) تحدثناه؟ قال: نعم، سمعت أبي يحدث ﴿عن رسول الله (ﷺ) أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فإن أدركت ذلك فكن عبد الله المقتول. قالوا: أنت سمعت هذا من أبيك تحدثه عن رسول الله (ﷺ)؟ قال: نعم. فقدموه على شفير النهر، فضربوا عنقه، فسال دمه كأنه شراك نعل، وبقروا بطن أم ولده وكانت حبلى، ونزلوا تحت نخل كثير الحمل بالرطب بنهر فسقطت رطبة فأخذها أحدهم، فقذف بها في فيه، فقال أحدهم: أخذتها بغير حقها، وبغير ثمنها، فلفظها من فيه. واخترط أحدهم سيفه، وأخذ يهزه، فمر به خنزير لأهل الذمة، فضربه به، يجربه فيه، فقالوا: هذا فساد في الأرض، فلقي صاحب الخنزير فأرضاه في ثمنه﴾[(١)].

خامسا: إلغاء أحادية الوجهة التفكيرية (نظرة البعد الواحد أو إلغاء المرونة الفكرية):

ومعنى أحادية الوجهة التفكيرية: (مجموعة من الخصائص المعرفية والمزاجية التي تشكل سلوكا متسقا، يتعارض مع قبول التنوع، ويرفض البدائل ويتجنب الجديد، ويتحرك وفق مسارات صارمة، ويعزل صاحب هذه العقلية نفسه عن مجتمعه، ويكرس نفسه لأهداف ضيقة ومحددة، وتتوافق هذه الخاصية مع خصائص الفكر المنحرف من حيث إنه لا يبحث عن أساليب تفكير جديدة،

---

(١) عمر عبدا لله كامل. المتطرفون خوارج العصر، (ط. بيسان للنشر، بيروت، سنة ٢٠٠٢ م)، صـ ٥٩.

ولا يتوقف عند تنوع الاختيارات المتاحة، كما أن الفكر المنحرف يتناقض مع ثراء الحياة الإنسانية بما تتضمنه من تنوع وعمق وتفاعل وخصوبة)(١).

ويترتب على هذا الإعياء التفكيري، عدم التنازل عن الحكم بالتكفير، حسب ما يراه صاحب هذه العلة العقلية أو النفسية.

وفي هذه الأحادية إغراق لسفينة الأمة بعد اختراق التكفير لهيكلها، وصدق رسول الله (ﷺ) حين قال: ﴿مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا﴾(٢) بهذا الخرق ينال التكفير من سفينة الأمة، فيسهل من خلاله وأدها من أعدائها الذين استوعب قلوبهم ظلام الحقد والغليل لينال منها على نفس منوال قوله تعالى: **﴿وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾**(٣).

(١) صفوت فرج، الشخصية أحادية العقلية، خصائص النمط ومتعلقاته (جامعة الكويت، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية سنة ٢٠٠١م العدد ١٥٥) صـ ٧٦.

(٢) أخرجه البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي) في الجامع الصحيح المختصر، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه برقم (٢٥٤٠) بتحقيق: د. مصطفى ديب البغا (لناشر دار ابن كثير، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧) جـ ٢، صـ ٨٨٢، وأخرجه الترمذي (محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي) وقال حسن صحيح، راجع الجامع الصحيح سنن الترمذي ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، برقم (٢١٧٣) (الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ــ د.ت) جـ ٤، صـ ٤٧٠.

(٣) سورة الكهف: آية ٧٩.

والفكر التكفيري كذلك يسير بصاحبه نحو متاهات مغلقة، فيجعله كالفأر الذي يتدرب على السير في متاهة مغلقة حيث ينطلق من بدايتها إلى نهايتها بسرعة ودقة دون أن يبحث عن مسارات جديدة، أو يتوقف عند تنوع الاختيارات، فهو ينطلق بتلقائية ولا يحتاج لتغيير اتجاهه فهو لا يخطئ الطريق ولا يبطئ السير إذ لا يرى إلا نفقا واحدا متصلا يؤدي به إلى هدفه.

إن أحادية البعد الواحد لا ترى إلا نصف الحقيقة، وتحجب عن صاحبها النصف الآخر، فهي بذلك معوق أساسي للشخصية والتفكير، وصاحب هذه العقلية لا يستطيع أن يدرك ثراء البدائل والتنوع والتباين، فهو يتبع خطا أحاديا متسقا ومتصلبا في عادات العمل أو أساليب التفكير أو في الابتكار والاتجاهات حول أمور الحياة المختلفة، وهذا النمط الفكري لا يجدي معه حوار أو نقاش فهو صعب التغيير والتعديل، لا يستطيع أن يدرك الدرجة الرمادية بين الأبيض والأسود فهو فاقد للمرونة والتسامح والتقبل ويسعى جاهدا إلى التكفير والتطرف وما شاكل ذلك من المصطلحات الحادة المتصلبة من مظاهر الانحراف الفكري المرتبطة برؤية منغلقة إزاء بعض القضايا والثقافات، سواء على المستوى الشخصي أو العام.

المبحث السادس

التصدي المجتمعي لملاحم التكفير وحظر ثقافته

ويتمثل هذا في نفرة مجتمعية تقف في وجه الملاحم التكفيرية عبر آليـــات متناغمة أهمها ما يلي:

أولا: استعمال الأسرة ــ البــؤرة الأولى في المجتمع ــ لآليـــة الإثبـــات والمحو الثقافي في عقلية الأولاد (علاج تربوي):

والمقصود بآلية الإثبات والمحو: إثبات المعارف والثقافات والأفكار المفيدة للمجتمع، ومحو الأفكار الهدامة الفاسدة من ثقافتهم، وذلك يحجب تصدير عناصر فاسدة من أفرادها إلى ميدان الحياة المجتمعية، وهو مشروط بأن تكون أفكار الآباء في الأساس أفكار سوية وعقلانية وموضوعية ووسطية معتدلة، وأن يكون الآباء قدوة مثالية في التعامل مع أنفسهم ومع الآخرين مما يساعد على تهيئة بيئة أسرية آمنة وهادئة يجد فيها الأولاد التوافق الأسري والحوار الهادف والاحترام المتبادل.

والمراقبة الواعية للأبناء هي المساهمة المهمة الثانية للأسرة، حتى لا يتعرض أبناؤها إلى طائفة من الأفكار التكفيرية المتشددة، فدخول القنوات الفضائية وشبكة "الإنترنت" إلى البيوت، شَكَّل تدخلاً سافراً في خصوصية الأسرة كاد أن ينفك منه زمامها، فهذه الوسائل آليات باردة لبث الفكر التكفيري وأي فكر هدام، ومع إيماننا بأهمية هذه العناصر وفائدتها، إلا أنها أثبتت من الوهلة الأولى أنها سلاح ذو حدين، وبالتالي فإن دور الوالدين يزداد أهمية بمراعاة هذه العناصر الجديدة التي وفدت إلى بيوتنا، ولا بد من تكريس المزيد

من الوقت لمتابعة الأبناء، والحرص على عدم انجرافهم مع التيارات المتشددة والمشبوهة.

ثانيا: انطلاق حملات اجتماعية متنوعة بأنساق متناغمة حكيمة من كل شرائح المجتمع لمواجهة ظاهرة التكفير (حملات مواجهة التكفير): عندما ندعو إلى الأناة والحكمة عند مخاطبة أصحاب النزوع التكفيري، فإننا لا ندعو إلى بدعة مستحدثة، ولا إلى ضلالة مستهجنة، بل إلى منهج إسلامي دعوي حكيم، فلا بد من الحكمة والتأني والرفق، وكما قال النبي (ﷺ): ﴿لم يدخل الرفق في شئ إلا زانه ولم ينزع من شئ إلا شانه﴾[(١)]، هذا الرفق هو الذي جمع صفوف الأمة بعد أن كانت مبعثرة، ووحد كلمتها بعد أن كانت متفرقة، ولم يسمح لزبانية الجحيم بأن يبوقوا[(٢)] بالتفريق والتمزيق لوحدتها، لذلك لابد من إعادة النظر لأصحاب الفكر التكفيري على أنهم أصدقاء، وليس كأعداء وألداء؛ فإحساس هذه الجماعات التكفيرية بأن أهل العلم يعادونهم يجعلهم لا تلتفتون أبداً لما يقولونه وما ينصحون به؛ لذلك لابد من اعتماد دعوة هؤلاء إلى

(١) أخرجه الإمام أحمد والبيهقي من حديث عائشة، وقال عنه الألباني: "وهذا إسناد رجاله ثقات على شرط مسلم" راجع: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للشيخ: محمد ناصر الدين الألباني (الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت ـ الطبعة: الثانية – ١٤٠٥ – ١٩٨٥) جـ ٥ ـ صـ ١١٨.

(٢) البُوقُ: مَنْ لا يَكْتُمُ السِّرَّ عن اللَّيْثِ ويُفْتح، والبُوقُ أَيضاً: مِنْقاف مُلْتَوِي الخَرْقِ، يَنفُخُ فيه فيَعْلُو صوتُه، وباقَ يَبُوق بَوْقاً إذا جاءَ بالبُوقِ وهو الكذبُ، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، حمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، (ط. دار الهداية، د. ت) جـ ٢٥، صـ ١٠٦، وانظر: لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، باب باق (ط.دار صادر، د.ت) جـ ١٠، صـ ٣٠.

الرجوع بالنقاش المقنع لا بالسب والشتم[١]، إذن على كل عناصر المجتمع صياغة نظرة علاجية حكيمة لهؤلاء، ولا ينقضون عليهم انقضاض البزاة على طرائدها ملاحقة وهجوما وتمزيقا، فإن كثيراً من الكتابات حول مشكلة الغلو تنبع من اتهام الغلاة بالعمالة أو بالخيانة، أو بأنهم خوارج، أو بأنهم كفار، ولذلك فإني أوصي بالحذر من الوقوع في نظير ما يُتهم به الغلاة من تكفيرهم للناس، فإن ألفاظ التكفير والخوارج ألفاظ شرعية يجب ألا تطلق جزافا.

والواضح من تجربة معالجة الفكر التكفيري في العصر الحديث، أن العنف لم يُجْدِ فيها شيئاً؛ بل كان سبباً لظهور تيارات تكفيرية أشد غلوا، والوسيلة الأنفع في ذلك هي المناقشة والمجادلة بالتي هي أحسن، ولا شك أن أسلوب المناقشة في هذه المشكلة هو من أنفع الأساليب؛ ذلك أن نور الحق ساطع، وبرهانه قاطع، وهو يعلو ولا يُعلى عليه، وهو الذي يعالج المشكلة من جذورها؛ لأن العنف مظهر للفكر التكفيري، ولا يمكن إزالة الفكر بإزالة مظهره فقط.

إننا بحاجة إلى تحرك رسمي و شعبي كبير، بحيث يتناول سلسلة حملات تستهدف تغيير القناعات والقيم والأفكار بالنسبة لظاهرة الغلو والتكفير، ويُعرف هذا النوع من الحملات بـــ"حملات التغيير الاجتماعيSocial Change " و" التسويق الاجتماعي Social Marketing " و "حملات الإقناع و التأثير"، وهذه الحملة الاجتماعية عبارة عن جهد منظم يهدف إلى إقناع هذه المجموعة المستهدفة بقبول أو تعديل أو الابتعاد عن هذه الظاهرة وضبط السلوك

---

(١) ظاهرة العنف الديني.. لماذا؟ المركز العالمي للاستشارات الإستراتيجية – (الطبعة الثانية – ١٤٢٥) صـــ٣٩.

والاتجاهات، وتشمل حملات التغيير عدة جوانب لها تأثير تكويني لظاهرة التكفير، منها:

١- التغيير المعرفي:

وهي من أسهل أنواع الحملات، حيث يهدف هذا النوع من الحملات إلى إمداد و تزويد أفراد المجتمع أو الجمهور المستهدف بمعلومات وحقائق حول قضية التكفير وخطرها، تؤدي إلى زيادة وعيهم و إدراكهم لهذه القضية، وبالتالي يحدث التغيير المعرفي لدى الجمهور المستهدف حول هذه القضية محل الاهتمام.

٢- التغيير السلوكي:

وهذا النوع من الحملات يهدف إلى تشجيع الأفراد على تغيير بعض أنماط السلوك العدواني المترتب على التشبع بالغلو المفضي إلى التكفير، (و هذا النوع أصعب مما سبقه لأنه يستلزم تغيير بعض السلوكيات و العادات التي كان يقوم بها الأفراد منذ مدة طويلة، و لذا قد لا تكفي وسائل الإعلام الجماهيرية هنا في إحداث الأثر المطلوب، بل لا بد من وسائل أخرى مساعدة كالاتصال الشخصي و المحاضرات و الندوات المتخصصة و المطبوعات)[١].

ثالثا: التصدي للثالوث المدمر (الجهل ـ الفقر ـ العشوائية) المؤدي للتشنج النفسي المفضي إلى التكفير:

ثمة أسباب لها آثار انعكاسية فكرية خطيرة، وهي محاضن الجهل والفقر والعشوائية، فهي الأرض الخصبة لانتشار أفكار الغلو، وإذا رافق هذا الثالوث تشهير ونشر للأخطاء مع وجود الفوارق الاجتماعية الضخمة بين الفقير والغني

(١) عبد الرحمن اللويحق (الدكتور)- الغلو في الدين الغلو في الدين (ط. مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى - (١٤١٢)، صـــ٥٣٧.

والعالم والجاهل، فهذا يسارع في تفجير الوضع، فينبغي على المسئولين إدراك خطورة هذا الثالوث، وأن كثيراً من الشباب يعاني من أمراض نفسية تشعرهم بالنقص في مقابل الأغنياء والعلماء، ما جعلهم يتهمون هذه الحلقة من المجتمع بالكفر في أحيان كثيرة فزادوا مرضاً إلى مرضهم.

لذلك عالج الإسلام هذه الأمور بالعدالة الاجتماعية والاقتصادية التي جاء بها وحاول نشرها بين الأفراد وأهمها السعي لتضييق التفاوت الحاصل بين الطبقات الاجتماعية من خلال تقرير حقوق الفقراء من أموال الأغنياء مثل الزكاة والصدقات والقروض الحسنة، ناهيك عن حقه في الصدقة ومحاربته للترف في الاستهلاك واعتبار المجتمع ككل مسؤول عن الفقير.

رابعا: التركيز المجتمعي على الجانب الوقائي من آفة التكفير قبل العلاجي:

قبل إصابة المجتمع بعدوى التكفير، يجب تكوين وحدات رصد يكون هدفها رصد بدايات هذه الظواهر وتكون شبيهة بمراصد الزلازل، ففي كل الأحوال درهم وقاية خير أجدى من قنطار علاج، وقد يكون ذلك بإنشاء مراكز البحوث والدراسات داخل المؤسسات لتتبع مثل هذه الظواهر فبل استفحالها، فتتوجه بوابل من التحذيرات الوقائية المشيرة إلى شيطانية نزعة التكفير، وبيان أنه يفضي إلى التشعب والانسلاخ عن جماعة المسلمين، فـ(عن معاذ بن جبل أن رسول الله (ﷺ) قال:

﴿إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد﴾[1].

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني في مسنده، راجع مسند الإمام أحمد بن حنبل بتذييل أحاديثه بأحكام شعيب الأرنؤوط، مسند الأنصار، حديث معاذ ين جبـل، بـرقم=

خامسا: قيام الجمعيات الأهلية والخيرية بدورها في مواجهة هذه الظاهرة:

يجب ألا تعزل الجمعيات الخيرية والأهلية عن المنظومة المجتمعية في التوعية لكل أفراد المجتمع، وذلك بالتعاون مع المؤسسات الحكومية والخاصة، وبالتعاون كذلك مع وسائل الإعلام، حتى يتمكن الجميع من احتواء المجتمع بعناصره وتوجيهه.

=(٢٢٠٨٢) وقال شعيب الأرنؤوط: " حسن لغيره وهذا سند رجاله ثقات إلا أنه منقطع " (الناشر: مؤسسة قرطبة – القاهرة) جـ٥، صـ ٢٣٢، وأخرجه اليهقي بلفظ (إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاذة القاصية و الناحية فعليكم بالمسجد و الجماعة فإن دعوة الجميع محيطة من ورائهم)، راجع شعب الإيمان للبيهقي برقم ٢٨٦٠، جـ ٣، صـ ٥٧، وذكره الأصبهاني في الحلية، انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ـ الطبعة الرابعة، ١٤٠٥) جـ ٢، صـ ٢٤٧.

الخاتمة

بعد هذا التطواف في شعاب البحث نصل إلى ضرورة علاج الفكر العليل بداء التكفير، وحين ننشد هذه الضرورة في ثقافة شبابنا ونناديهم بالمسارعة لهجرها والتخلي عنها، فإننا لا ننشد منهجا أرضيا ولا وضعيا، إنما ننشد منهجا إلهيا يجب أن يترجم إلى واقع تراه العين وتلمسه اليد، وتلاحظ آثاره العقول، منهجا يليق بمجتمع إسلامي لطالما تخبط بعيدا عنه، يشخص له ما عانته الأمة من التجارب القاسية، والتخبط المؤلم، وهى تنهض وتعثر، وتنزف جروحها طوال الطريق، وما لقيته من اللأدواء والنصب فى هاجرة التيه المقفز الذى سارت فيه بلا دليل، ويشخص له ما وصلت إليه في واقعها مما يهدد خصائصها من الدمار، ويهدد حياتها من البوار، فى ظل هذه الظاهرة التي أقيمت دون مراعاة لخصائص منهج الله مارقة عن روحه وتوجيهه.

وعلى كل فإن العقلاء وحدهم يدركون ما في التكفير من جسامة الخطر الذي تتعرض له الأمة بل ووجودها ذاته في ظل تسلطه وتعسفه، وما تتعرض له خصائصها الثمينة.

وقد رأى الباحث بعد هذه الجولة حزمة من النتائج والتوصيات التي يلزم تفعيلها للحد من هذه الظاهرة الغثة العثرة، وهي كالتالي:

أهم النتائج:

١- أن ظاهرة التكفير تردى في الهاوية، فجماعاته تنتحر بيدها، وتختنق بالظروف العدائية التى أنشأها الغلو والتصلب بعيدا عن روح الأحكام الشرعية، ومرونة الوسطية والاعتدال.

٢- أن خصائص الإسلام التي بها صار المسلم مسلما، والتي بدونها لا يملك المضي في خلافة الأرض، والسيادة على عناصرها، تدمر تدميراً بشعاً بهذه الظاهرة وأنساقها، والتي أنذرت منها أصوات العقلاء.

٣- أن لكل داء دواء، ولكل سقم شفاء، وعلاج داء التكفير يكمن في دقة تشخيصه، إذ لا بد وأن تدخل العقول الموصومة المكللة بالتكفير بوابة معمل الفحص الشرعي الحكيم، حتى تصاغ نظرية شرعية تضمن شفاءها.

٤- ضرورة تحجيم الثقافات المارقة، والترويجات الخارجة لفتنة التكفير، واستعمال كل السبل للوقوف في وجهها وحجبها عن التسلل لعقول شبابنا.

أهم التوصيات:

١- إنشاء جهات وروابط عالمية فعالة متخصصة لمواجهة التكفير، تذب عن الإسلام ما نسب إليه من نتاج هذا الفكر ووباله وإرهابه.

٢- تفعيل دور المؤسسات الخيرية والأهلية في ترويج مفاهيم الوسطية والمعتدلة بالوسائل الدعائية المنشورة والمسموعة.

٣- تكثيف دور الدعاة والعلماء في بيان خطورة هذا الفكر وبراءة الإسلام منه.

٤- تشابك الأنساق والمؤسسات المجتمعية (الدعوية والتعليمية والإعلامية والخيرية والأهلية...إلخ)، وتفاعل الأدوار والاختصاصات في حزمة قوية تعالج المد التكفيري من بداية تكوينه.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

دكتور

محمد عبد الدايم علي سليمان محمد الجندي

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة والأديان المشارك
بجامعتي الأزهر بالقاهرة
وجامعة الملك فيصل ـ كلية الآداب بالإحساء ـ قسم الدراسات الإسلامية

المصادر والمراجع

(١) القرآن الكريم.

(٢) الألباني، محمد ناصر الدين (الشيخ)، فتنة التكفير، تقريظ الشيخان: عبد العزيز بن باز، ومحمد بن صالح العثيمين، إعداد: علي بن حسين أبو النور (ط. دار ابن خزيمة، طبعة ثانية، سنة ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧م).

(٣) ابن تيمية، أحمد عبد السلام (الإمام)، بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول (ط. القاهرة سنة ١٣٢١هـ).

(٤) ابن تيمية، أحمد عبد السلام (الإمام) درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، درء تعارض العقل والنقل، (ط. أولى، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض).

(٥) ابن تيمية أحمد عبد السلام (الإمام)، مجموع الفتاوى، (طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، سنة ١٤١٦هـ).

(٦) ابن قيم الجوزية (الإمام) مدارج السالكين، (المطبعة السلفية بالقاهرة، الطبعة الثانية).

(٧) ابن منظور محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، (الناشر: دار صادر – بيروت، ط أولى.

(٨) أبو سليمان، عبد المجيد أحمد، أزمة العقل المسلم. (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، سنة ١٩٨١ م).

(٩) أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مسند الإمام أحمد، (ط. مؤسسة قرطبة – القاهرة، د. ت).

(١٠) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ــ ط. رابعة، ١٤٠٥ هــ).
(١١) البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي) في الجامع الصحيح المختصر، بتحقيق: د. مصطفى ديب البغا (لناشر دار ابن كثير، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م.
(١٢) البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد أبو منصور، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، (دار الآفاق الجديدة – بيروت ــ ط. ثانية، ١٩٧٧).
(١٣)البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر، السنن الكبرى، بتحقيق: محمد عبد القادر عطا، (مكتبة دار الباز – مكة المكرمة، ١٤١٤ – ١٩٩٤).
(١٤) البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، بتحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، (الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ــ الطبعة الأولى، ١٤١٠هــ).
(١٥) بيومي، محمد أحمد،ظاهرة التطرف: الأسباب والعلاج،(الاسكندرية الفنية للطباعة والنشر، سنة ١٩٩٩).
(١٦) جابر، سامية، سوسيولوجيا الانحراف، (القاهرة ط. دار المعرفة الجامعية، سنة ٢٠٠٤ م).
(١٧) جرجس فواز، الحركات الإسلامية ودورها في الاستقرار السياسي في العالم العربي (مركز الإمارات للدراسات،٢٠٠٢).
(١٨) جيهان رشتي، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، (القاهرة ط. دار الفكر العربي سنة ١٩٨٧ م).

(١٩) حسن عماد مكاوي، وليلى حسين السيد، الاتصال و نظرياته المعاصرة، (القاهرة ط. الدار المصرية اللبنانية، ط. أولى سنة ٢٠٠٣م)

(٢٠) الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبو الحسن البغـــدادي،العلل الواردة في الأحاديث النبوية، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله السلفي (لناشر: دار طيبة – الرياض، لطبعة الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٥).

(٢١) الرشدان، عبد الله، المدخل إلى التربية والتعليم، (دار الشروق، فلسطين – رام الله، ط٢، ١٩٩٩م)،.

(٢٢)السبكي، أبو الحسن علي فتاوى السبكي، (دار المعرفة، بيـــروت، لبنـــان، د.ت).

(٢٣) سعد بن ناصر الشثري (الدكتور) ــ أدب الحوار في الإسلام ــ تعليـــق الشيخ عبد العزيز آل الشيخ (ط. كنوز أشبيليا ــ ط. أولى سنة ١٤٢٧ هــ ــ ٢٠٠٦ م).

(٢٤) سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مسفر الفزعـــي الخثعمـــي، كشف الأوهام والالتباس عن تشبه بعض الأغبياء من النـــاس، (ط. دار العاصمة – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥).

(٢٥) صالح بن عبد الله بن حميد (الشيخ)، أدب الاختلاف، (طبعة ثالثة، ســـنة ١٤١٢ هــ).

(٢٦) صفوت فرج، الشخصية أحادية العقلية،خصائص النمط ومتعلقاته (جامعة الكويت، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية سنة ٢٠٠١م العدد ١٥٥).

(٢٧) صلاح الدين جوهر (الأستاذ) علم الاتصال: مفاهيمه، نظرياته، مجالاته، (القاهرة، مكتبة عين شمس، سنة١٩٨٠).

(٢٨) الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط بتحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني (الناشر: دار الحرمين – القاهرة، ١٤١٥ هـ).

(٢٩) الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب) المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (مكتبة العلوم والحكم – الموصل،الطبعة الثانية، ١٤٠٤ – ١٩٨٣).

(٣٠) الطحاوي أبو جعفر ـ متن العقيدة الطحاوية ـ (ط. دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ـ سنة ١٩٩٣م).

(٣١) عبد الرحمن اللويحق (الدكتور)– الغلو في الدين (ط. مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى – ١٤١٢).

(٣٢) عبد الله بن عبد المحسن الطريقي (الدكتور) الإنكار في مسائل الخلاف، (مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط. أولى، سنة ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧م).

(٣٣) عماد الدين خليل (الدكتور)، مدخل إلى الحضارة الإسلامية، (نشر المركز الثقافي العربي والدار العربية للعوم، ط أولى، سنة ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م).

(٣٤) عمر عبدا لله كامل. المتطرفون خوارج العصر، (ط. بيسان للنشر، بيروت، سنة ٢٠٠٢ م).

(٣٥) الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد (الإمام) الاقتصاد في الاعتقاد (القاهرة، ط. مكتبة صبيح، د.ت).

(٣٦) فهمي هويدي، المفترون: خطاب التطرف العلماني في الميزان. (القاهرة، ط. دار الشروق. ١٩٩٦ م)

(٣٧)الفوزان، صالح بن فوزان (الشيخ)، أسئلة وأجوبة في مسائل الإيمان والكفر، نقلا عن موقع الشيخ على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت).

(٣٨) القرطبي محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله (الإمام)، الجامع لأحكام القرآن، (ط. دار الكتب المصرية، د.ت).

(٣٩) محمد صلاح الدين مجاور وفتحي عبد المقصود الذيب. المنهج المدرسي أسسه وتطبيقاته التربوية. (ط.دار القلم ط. سادسة ١٩٨٤م).

(٤٠) محمد عبده (الشيخ) الأعمال الكاملة، بدراسة وتحقيق د: محمد عمارة (ط. بيروت، سنة ١٩٧٢ م).

(٤١) محمد عمارة (الدكتور) صيحة نذير من فكرة التكفير ــ (ط. مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، ط.أولى سنة١٤٢٨هــ، ٢٠٠٧م).

(٤٢) محمد عمارة (الدكتور)، فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية والصوفية (ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، سنة ١٤٢٧هــ، ٢٠٠٦ م).

(٤٣)محمد ناصر الدين الألباني (الشيخ)، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت ــ الطبعة: الثانية – ١٤٠٥ – ١٩٨٥).

(٤٤) محمد محمود حمدي زقزوق (الدكتور) الإسلام وقضايا الحوار ــ ترجمة د. مصطفى ماهر (ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ القاهرة سنة ١٤٣٢هــ ــ ٢٠٠٢ م).

(٤٥) مسلم (مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري)(الإمام)، صحيح مسلم، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت).

(٤٦) محمد عمارة (الدكتور) مقالات الغلو الديني والاديني (القاهرة، ط. مكتبة الشروق الدولية، ط. أولى سنة ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٤ م).
(٤٧) مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج (الإمام)، تفسير مجاهد، تحقيق: عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي (ط. المنشورات العلمية – بيروت ــ د. ت).
(٤٨) مصطفى محمود منجود: الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن في الإسلام، سلسلة الرسائل الجامعية (٢٦) المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٦م.
(٤٩) يوسف القرضاوي (الدكتور) الخصائص العامة للإسلام، (ط مؤسسة الرسالة، بيروت سنة ١٩٨٣ م).
(٥٠) يحيى بن محمد حسن زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، وهو في الأصل رسالة ماجستير مقدمة لقسم الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى عام ١٤١٣هـ (ط. دار التربية والتراث، ط. أولى سنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م).



فهرس الموضوعات



